



جامعة القدس
عمادة الدراسات العليا

روسيا والاتحاد الأوروبي؛ حدود الصراع والتعاون
(1991-2016)

عزت أحمد عزت علان

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين

1438 هـ / 2016 م

روسيا والاتحاد الاوروبي؛ حدود الصراع والتعاون
2016 – 1991

إعداد:

عزت أحمد عزت علان

بكالوريوس هندسة مدنية من جامعة بيرزيت / فلسطين

المشرف: أ. د منذر الدجاني

قدمت هذه الرسالة استكمالاً للحصول على درجة الماجستير في الدراسات الاوروبية/ معهد
الدراسات العالمية/ كلية الآداب/ جامعة القدس

1438هـ / 2016 م



جامعة القدس
عمادة الدراسات العليا
معهد الدراسات العالمية

إجازة الرسالة

روسيا والاتحاد الأوروبي؛ حدود الصراع والتعاون

(1991-2016)

إسم الطالب: عزت أحمد علان
الرقم الجامعي: 21012864
المشرف: أ. د. منذر الدجاني

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ: 2016/12/20 من أعضاء لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم:

التوقيع:
التوقيع:
التوقيع:
Dr. Sami

1. رئيس لجنة المناقشة: أ. د. منذر الدجاني
2. الممتحن الداخلي: د. محمد أبو كوش
3. الممتحن الخارجي: د. سامي مسلم

القدس - فلسطين

1438 هـ / 2016 م

إقرار:

أقر أنا معد الرسالة بأنها قدمت لجامعة القدس، لنيل درجة الماجستير، ،انها نتيجة أبحاثي الخاصة، باستثناء ما تم الإشارة له حيثما ورد، وأن هذه الدراسة، أو أي جزء منها، لم يقدم لنيل درجة عليا لأي جامعة أو معهد آخر.

التوقيع:

عزت أحمد عزت علان

التاريخ: 2016/12/20

روسيا والاتحاد الاوروبي، حدود الصراع والتعاون (1991-2016)

اعداد: عزت أحمد عزت علان

اشراف: أ. د. منذر الدجاني

ملخص الدراسة:

الحدث التاريخي الذي تمثل بانهيار الاتحاد السوفييتي الذي تقاسم الهيمنة على العالم وعلاقاته الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، فتح الابواب نحو نظام دولي جديد يقوده الغرب الذي تحكمه القوى الليبرالية التي تسعى الى الوصول الى السلم العالمي وتصفية بؤر التوتر والحروب من خلال اقامة نظام دولي يعتمد توازن المصالح قاعدة له، ويعطي الاولوية للتعاون الدولي، مما يعني تراجع العامل العسكري، واعطاء الصدارة في العلاقات الدولية للعاملين السياسي والاقتصادي. وقد ساهمت هذه الاجواء في خلق فرص للتعاون بين الاتحاد الاوروبي وروسيا، حيث ضخت اوربا عشرات المليارات من الدولارات في الاقتصاد الروسي من خلال الاستثمار في قطاعات متنوعة كان أهمها قطاع الطاقة، وساعدت التكنولوجيا الغربية روسيا في استخراج النفط من الآبار العميقة فمهدت لها الطريق لتحقيق زيادة كبيرة في انتاج الطاقة والتريع على عرش منتجي ومصدري النفط والغاز في العالم.

وقد كان التطور في قطاع الغاز الطبيعي وازدياد الطلب الاوروبي عليه، مع امتلاك روسيا لأكبر مخزون من الغاز الطبيعي في العالم وتوفر البنية التحتية من انابيب نقل الغاز الروسي لاوروبا من أهم دوافع التعاون الروسي الاوروبي، لتبلغ صادرات الغاز الروسي لاوروبا مستويات قياسية عام 2013، ويصبح حوالي 33% من الغاز الذي تستهلكه اوربا قادما من روسيا.

لكن محاولات روسيا استخدام الغاز كوسيلة وسلاح لتحقيق أهداف سياسية، وقيامها بقطع امدادات الغاز عن اوكرانيا التي يمر منها 80% من الغاز الروسي المصدر لاوروبا، حد من آفاق التعاون الروسي - الاوروبي، ودفع اوروبا الى البحث جديا عن مصادر أخرى للغاز الطبيعي بهدف تحرير السوق من الهيمنة الروسية، وتحقيق ما يعرف بأمن الطاقة وتحرير الدول الاوروبية من التعرض للابتزاز الروسي.

الا أن طبيعة مادة الغاز والحاجة لبناء بنية تحتية ضخمة من انابيب النقل او محطات الاسالة وما يحتاجه انجاز هذه البنية التحتية من وقت وموارد مالية مليارية، بالاضافة الى طبيعة العقود طويلة الأجل التي تربط السوق الاوروبية بشركة الغاز الروسية، غازبروم، هذه العوامل حددت من قدرة وامكانيات اوروبا في تقليص الاعتماد الاوروبي على الغاز الروسي في المدى القصير، لكن الجهود الاوروبية الحثيثة بانشاء خطوط انابيب تمر عبر تركيا حاملة غاز جمهوريات آسيا الوسطى وربما ايران، الى اوروبا، ستجعل اوروبا قادرة على تقليص هذا الاعتماد ابتداء من عام 2020، وبالنظر الى الغاز الطبيعي المسال، والزيادة المتوقعة في الانتاج الامريكي من الغاز المسال، فان توفر ظروف مناسبة من العرض والطلب، تدفع اسعار الغاز المسال الى الهبوط والاقتراب من اسعار الغاز الطبيعي، فان اوروبا ستمتلك حينها فرصا اضافية لتحرير سوق الطاقة من الهيمنة الروسية. وبشكل عام فان اوروبا على المدى المتوسط ستكون قادرة على الحد بشكل كبير من اعتمادها على الغاز وخفض وارداتها منه الى المستويات التي سادت في بداية تسعينات القرن الماضي.

العائق الجوهري أمام اتساع التعاون الروسي - الاوروبي كان افتراق الطرفين بالنظرة والاهداف السياسية والاستراتيجية، فروسيا كانت تعمل على استعادة مكانتها كدولة عظمى وشريك ولاعب أساسي في النظام الدولي، لذا فانها رفضت التعامل معها كطرف خاسر في الحرب الباردة، واستمرت بالسعي للسيطرة على ما عرفته بانه مجالها الحيوي ودائرة نفوذها وتأثيرها التي تشمل رابطة الدول المستقلة اضافة الى دول اوروبا

الشرقية التي كانت تدور في فلك الاتحاد السوفييتي سابقا. هذه السياسة تناقضت مع السياسة الأوروبية التي عملت على نشر مفاهيمها وقيم الديمقراطية واقتصاد السوق واحترام الحريات وسيادة القانون، وهو ما لاقى قبولا وترحيبا من قبل الدول التي تحررت من هيمنة الاتحاد السوفييتي، والتي تسابقت بالسعي للانضمام الى الاتحاد الأوروبي، الذي أخذ بالتوسع وضم اليه العديد من الدول التي اعتبرت روسيا جزءا من مجال تأثيرها وسيطرتها، ليبرز نزاع وتنافس غربي - روسي بدأ باردا، وتركز في أوكرانيا التي أصبحت ساحة الشد والجذب الرئيسية، لتزداد سخونة التنافس والنزال شيئا فشيئا وتصل الى حدود الغليان عام 2014 مع اندلاع ما عرف بأزمة القرم.

سواء اعتبرنا أن الأزمة في أوكرانيا نتجت عن الرغبة الروسية في التأثير والتحكم بقرار كييف، أو أن سبب الأزمة هو توسع الغرب في شرقي أوروبا، فاننا سنصل الى نفس النتيجة، وهي أن سياسات الطرفان فشلت في توقع ردات فعل الطرف الآخر، كما فشلت في خلق توازن في المصالح يمنع الاستفزاز ويبعد شبح مواجهة لا يمكن التكهّن بآثارها وطبيعتها وحجمها. كما أن أزمة القرم أظهرت بوضوح أن تعالي الخطاب القومي في روسيا، والديرواجندا المعادية للغرب، وترسيخ السياسة الساعية الى استعادة أمجاد روسيا ودورها المركزي، كقوة عظمى وشريك أساسي في النظام الدولي، لن يخدم آفاق التعاون بين روسيا والغرب، كما أنه لن يخدم الاهداف الاستراتيجية التي وضعتها القيادة الروسية أساسا لسياساتها، ولن يخدم أيضا مصالح الشعب الروسي بتحقيق الرفاه الاقتصادي والاجتماعي، كما سيؤسس لحياة سياسية وأوضاع اقتصادية شبيهة بتلك التي سادت ايام الاتحاد السوفييتي، تمنع فيها المعارضة وبترسخ فيها حكم الرجل الواحد، وتزداد فيها نسب الفقر والبطالة.

Russia and the EU, between Cooperation and Confrontation (1991-2016)

Prepared by: Izzat Ahmad Izzat Allan

Supervisor: Prof. Dr. Munther Dajani

Abstract:

The collapse of the Soviet Union marked the beginning of a new phase of history and a new formation of international relations, one that is lead by western liberalism, that aimed at achieving stability and peace through spreading the values of democracy and free market, which could secure economic and social growth. This atmosphere opened wide horizons of cooperation between Europe and Russia, especially in the Russian energy field, that received tens of billions of dollars of European investments which helped upgrading the industry and doubling the Russian production of gas and oil.

Energy was the main field of cooperation between Europe and Russia, but it became the main battlefield, after Russia's attempts to use its gas exported to Europe as a political weapon. Those attempts pushed Europe to look for substitutes of the Russian gas. But a number of complications made the scope for reducing European dependence on Russian gas somehow limited. A major complication is related to the need of pipeline infrastructure that require tens of billions of investments, another obstacle that hinders the European efforts to reduce the dependence on Russian gas is the long term contracts that oblige Europe to import a minimum of almost 100 bcm/year of Russian gas. Nevertheless, European efforts to bring central Asian gas 'Azerbaijan' to Europe through turkey, accompanied with the possibility of abundant liquid gas production from USA, would make Europe able to substantially reduce gas imports from Russia by mid 2020's.

The crisis between Russia and the west stems profoundly from the different political views. Russia refused to be considered defeated after the cold war, and persisted on the rejection of any westerns expansion towards the east, and tried to keep its control and influence on what Moscow considered as its strategic domain and sphere of influence. The west from its side, considered the end of the cold war as an opportunity to bring peace and maintain it through spreading democracy, this ambition seduced the west to

spread its values in eastern European countries that newly rid of the soviet control and were eager to try western democratic values. This split in political views started cold but became warmer and put Russia and the west at the brink of militant confrontation after Moscow's declaration of the annexation of Crimea in 2014, an event that raised the possibilities of confrontation instead of cooperation.

فهرس المحتويات

الصفحة

الموضوع

الفصل الأول: خلفية الدراسة

1	المقدمة	1.1
3	مببرات الدراسة وأهميتها	2.1
5	أهداف الدراسة	3.1
6	مشكلة الدراسة	4.1
7	أسئلة الدراسة	5.1
7	فرضية الدراسة ومنهجيتها	6.1
8	حدود الدراسة	7.1

الفصل الثاني: الاطار النظري للدراسة

9	الدراسات السابقة	1.2
11	النظرية الواقعية في العلاقات الدولية	2.2
14	النظرية الليبرالية في العلاقات الدولية	3.2

الفصل الثالث: الغاز الروسي، أداة التعاون والنزاع

20	الغاز الطبيعي	1.3
42	الغاز الطبيعي المسال	2.3

الفصل الرابع: الأزمة الأوكرانية

51	الخلفيات والدوافع والمآلات	1.4
66	أزمة القرم، الأبعاد والتداعيات	2.4

88

المراجع

فهرس الرسومات

الصفحة	الرسم
21	1.3 صادرات الغاز الروسي الى اوروبا عام 2013
23	2.3 واردات أوروبا من الغاز الروسي، والبنية التحتية من خطوط الانابيب
24	3.3 صادرات الغاز الروسية طويلة الامد لاوروبا، مع الكميات الالزامية (Take or Pay)
30	4.3 خيارات نقل الغاز الطبيعي الاسرائيلي والقبرصي
30	5.3 خارطة آسيا الوسطى وبحر قزوين
31	6.3 مشروع خط أنابيب الغاز نابوكو
34	7.3 أنبوب غاز السيل الشمالي
34	8.3 خطي غاز السيل الجنوبي ونابوكو
36	9.3 خط غاز السيل التركي
38	10.3 خطي غاز عبر الاناضول (TAP) والادرياتيكى (TANAP)
40	11.3 مقترح خط الغاز الايراني المار عبر العراق وسوريا
40	12.3 خط الغاز الايراني التركي المقترح
43	13.3 أهم الدول المستوردة للغاز الطبيعي المسال
68	1.4 خارطة توضح موقع شبه جزيرة القرم
74	2.4 مناطق سيطرة الانفصاليين الموالين لروسيا في شرق اوكرانيا

فهرس الجداول

الصفحة	الجدول
22	1.3 صادرات الغاز الروسية لاوروبا "بالمليار متر مكعب
26	2.3 الانتاج الاوروبي من الغاز الطبيعي (بالمليار متر مكعب)
27	3.3 انتاج دول شمال افريقيا من الغاز الطبيعي (بالمليار متر مكعب)
44	4.3 أكبر الدول المصدرة للغاز الطبيعي المسال

فهرس الملاحق

الصفحة	الملحق
90	1.3 صورة لأوغلو وعلييف في مؤتمر صحفي من العاصمة الأذرية باكو
91	2.3 صورة بوتين وهو يدشن الجزء الأول من خط غاز عملاق يربط بين روسيا والصين
92	1.4 صورة ليوشنكو قبل وبعد تعرضه للتسمم الذي تسبب له بتشوهات جلدية
93	2.4 صورة الرئيس الأوكراني يتوسط رئيس المفوضية الأوروبية ورئيس المجلس الأوروبي خلال التوقيع على اتفاقية الشراكة

الفصل الأول

خلفية الدراسة

1.1 المقدمة

في يوم الجمعة، الثامن من أغسطس لعام 2008، دخلت القوات الروسية مشهد الصراع الذي اندلع بين القوات الجورجية والقوى الانفصالية في اوسيتيا الجنوبية التي كانت تتبع جورجيا حتى ذلك التاريخ، لتعلن اوسيتيا الجنوبية استقلالها مع ابخازيا، التي استعادت ما تبقى لها من اراض تحت السيطرة الجورجية، بعد حرب حسمها التدخل الروسي خلال خمسة ايام. لم يكن هذا التدخل الروسي الأخير، بل ان شباط من العام 2014 كان شاهدا على تدخل روسي أشد اندفاعا وأكثر قوة، هذه المرة كانت ساحته أوكرانيا، بعد أن شهدت كيف تغيرات اعتبرتها روسيا تمس بمصالحها القومية، وتحدث تغيرات مرفوضة في مجالها الحيوي

ومحيطها الاستراتيجي، فتحركت روسيا مجددا لتضع بصمتها بالقوة على قوانين لعبة السياسة الداخلية في أوكرانيا، مستفيدة مرة أخرى من المواطنين المنتمين للثنية الروسية كذريعة للتدخل وأداة لإعادة شبه جزيرة القرم للسيادة الروسية، واشعال نزاع مسلح أشبه بالحرب الأهلية في شرق أوكرانيا، التي يقطنها أغلبية من المواطنين ذوي الأصول الروسية.

في المقابل، فإن مشروع نابوكو لا يصلح غاز جمهوريات آسيا الوسطى الى أوروبا، لم يكن محاولة أوروبا الأخيرة للتعامل مع سياسات روسيا المثيرة للشك والتخوف الأوروبي، شك جعل مشروع نابوكو يرى النور، حرصا على عدم تحكم روسيا بأمن الطاقة في القارة العجوز، ومنعا لامكانية استثمار الروس لهذا التحكم بسوق الطاقة الأوروبية سياسيا. هذه العلاقة التي يملأها الشك والتخوف من السياسات الروسية عادت الى السطح مجددا بعد تفجر أزمة القرم. فلم يساعد النفي الروسي باقناع الأوروبيين أن تحركات الانفصاليين في شرق أوكرانيا وشبه جزيرة القرم كانت دوافعها ذاتية، ولم تكن بترتيب وتوجيه من روسيا، ليتخذ الغرب خطوات يبدو أن ساسة روسيا فشلوا في توقعها أو توقع أثرها، خطوات بدأت بفرض عقوبات اقتصادية تركت آثارا شديدة السلبية على الاقتصاد الروسي الذي دخل في ركود لا يبدو أنه سيخرج منه قريبا، وامتدت الخطوات الغربية الى النشاط العسكري غير المسبوق لحلف الأطلسي في مناطق كان ينظر الى أي نشاط للناتو فيها كتجاوز خطير للمحرمات في عيون روسيا.

وبالرغم من الإرث التاريخي الذي خلف التوجسات والريبة، التي دفعت أوروبا الى محاولة الحد من الخطر القادم من شرقها، من خلال نشر نظامها السياسي الديمقراطي والاقتصادي في شرق القارة، ودفعت روسيا من الناحية الأخرى الى مقاومة هذا التوسع الأوروبي واتخاذ كل الاجراءات، بما فيها العسكرية، لصدده وعرقلته، الا ان ذلك لم يكن الوجه الوحيد لصورة العلاقات الأوروبية - الروسية، بل شهدت هذه العلاقات تطورا كبيرا

على المستوى الاقتصادي. وكانت ثروة روسيا الضخمة من النفط والغاز أهم دوافع التعاون مع أوروبا أحد أهم مستهلكي الطاقة في العالم.

ستحاول الرسالة تفكيك العلاقات الروسية - الأوروبية المتشابكة والمعقدة، والتي شهدت صعوداً وهبوطاً لا يتوقفان، صعود أفرزه الاقتصاد وحاجة أوروبا للطاقة الروسية، وهبوط نجم عن السياسة ورغبة روسيا باستعادة دورها المحوري في الساحة الدولية، ومقاومتها لمحاولات الاتحاد الأوروبي والنااتو التوسع شرقاً. ولفهم هذه العلاقة وإدراك حدود الصراع والتعاون بين أوروبا وروسيا، سوف أحاول في هذه الرسالة تحديد أهم العوامل التي شكلت طبيعة هذه العلاقة في ثلاثة فصول يتناول كل منها محطة من المحطات الفارقة، أو دافعا استراتيجيا وجه العلاقة نحو التعاون أو التصادم، وهذه الفصول هي:

1. الاطار النظري للدراسة.

2. الغاز الروسي، أداة التعاون والنزاع.

3. الأزمة الأوكرانية، الخلفيات والدوافع والآلات.

2.1 مبررات الدراسة وأهميتها

لقد مثل الانتهاء من عهد الاتحاد السوفييتي حقبةً جديدةً لكل دول شرقي أوروبا، وخصوصاً روسيا التي بدأت بشق الطريق وحدها كدولة اتحادية بعد عشرات السنين من قيادة الدول المنضوية تحت الاتحاد السوفييتي الذي تآكل في نهاية القرن الماضي وانهار مخلفاً عشرات الدول الباحثة عن استقلالها. وقد رفضت روسيا التعامل معها كإلطرف الخاسر في الحرب الباردة. واعتبرت أنها الوريث الشرعي للاتحاد السوفييتي محاولة الاحتفاظ بتأثيرها على الدول التي كانت ضمن فلك الحكم الشيوعي السوفييتي السابق. لكن موجة التحركات الشعبية التي اطاحت بالانظمة الشمولية في شرق أوروبا، حملت معها رغبات وآمال هذه الشعوب بأنظمة

ديمقراطية تكفل لها المشاركة في القرار السياسي واحترام حقوقها وحرّياتها. وشهدت تسعينات القرن الماضي نزعة واضحة ورغبة جامحة لدى دول أوروبا الشرقية في الانضمام للاتحاد الأوروبي الذي كان تفعيل مشاريع الديمقراطية، و السوق الحرة، و إصلاح القضاء، و محاربة الفساد شرطا أساسيا لديه لقبول عضوية أي من هذه الدول الراغبة بالانضمام له. وكان للإصلاحات السياسية والاقتصادية التي طبقت في الدول التي انضمت للاتحاد الأوروبي أثر واضح على مستوى المعيشة ورفاهية الأفراد ونجح في تحقيق نماذج اجتماعية راقية جعل شعوب أوروبا الشرقية تطلع الى العيش ضمن الفضاء الذي تحكمه نظم وقوانين ومفاهيم الاتحاد الأوروبي. وبدأ الغرب، الاتحاد الأوروبي والناطو، بالتوسع، وانضم الى فلكه دول أوروبا الشرقية ودول البلطيق الواحدة تلو الأخرى.

روسيا اعتبرت هذا التوسيع خطراً عليها وتهديدا لمصالحها، فسعت الى مقاومة هذا التوسع الغربي وافشاله. وتبنت في سبيل ذلك عدة سياسات كان أبرزها تفعيل مشاريع للتكامل الاقتصادي والعسكري مع رابطة الدول المستقلة، ودعم النخب السياسية والعسكرية الموالية لروسيا في هذه الدول، اضافة الى تعزيز العلاقات والروابط مع الجاليات الروسية المنتشرة في رابطة الدول المستقلة، والتي خدمة السياسة الروسية سواء لناحية توفيرها الذرائع لتدخل روسيا العسكري في جورجيا والقرم بحجة حماية ودعم الجالية الروسية، او لناحية التأثير على الحياة السياسية من خلال الاحزاب التي تحكمت بها هذه الجاليات الروسية كحزب الاقاليم الاوكراني. لكن روسيا لم تتوقف عند محاولات القبض على مفاتيح وأدوات التأثير على كييف، بل لجأت الى القوة العسكرية في التعامل مع الأزمة الاوكرانية، ليصل التنافس والتنازع الروسي-الغربي درجات غير مسبوقة من السخونة وضعت الطرفين على حافة مواجهة شاملة، دفعت كثير من المحللين من التحذير بأن العالم يقف على أبواب حرب عالمية ثالثة.

الدراسة أيضا سلطت الضوء على خارطة الغاز، مصادره، مصدريه، ومستهلكيه، وهي الخارطة التي تمثل حجرا أساسيا في فسيفساء الصراع والتعاون الدولي. ومنطقتنا تقع في قلب هذه الخارطة، سواء لامتلاكها مخزونات ضخمة من الطاقة او لموقعها الجغرافي الذي جعلها الممر الرئيسي البديل لاىصال الغاز لاوروبا. من هنا تبرز أهمية دراسة العلاقات الروسية - الاوروبية، حيث أن هذه العلاقات تركت أثرا كبيرا على طبيعة العلاقات الدولية وأصبح الصراع الذي ميز هذه العلاقات في السنوات الأخيرة يهدد السلم العالمي. كما أن منطقتنا العربية لا تبعد كثيرا عن هذه التحولات التي طرأت على النظام والعلاقات الدولية بسبب موقعها على خارطة الغاز العالمية، وبسبب تدخل روسيا العسكري في سوريا، وان كان هذا التدخل لم يستفز الغرب كما استفزه التدخل الروسي في القرم.

3.1 أهداف الدراسة

الهدف الرئيسي للبحث هو محاولة فهم العلاقات الروسية-الاوروبية من حيث المصالح والدوافع التي رسمت آفاق التعاون والصراع منذ انهيار الاتحاد السوفييتي مطلع تسعينيات القرن الماضي. أما الأهداف الفرعية للبحث فهي:

1. توضيح أهم النظريات التي يمكن أن تحلل سياسات ودوافع كل من روسيا والغرب لامتلاك أدوات التأثير وبسط السيطرة على محيط تأثير الاتحاد السوفييتي السابق، أوكرانيا على وجه الخصوص.
2. تسليط الضوء على خارطة الغاز، كيف ولدت الحاجة الاوروبية للغاز الروسي آفاق للتعاون والشراكة، وكيف حاولت روسيا استخدام سلاح الطاقة لابتزاز اوروبا، لتدفعها الى المضي في مشاريع تحرير سوق الغاز وتنويع مصادره.

3. التعرف على جذور ومراحل وتفاعلات الأزمة الاوكرانية التي كانت ساحة التنافس والصراع المركزية بين روسيا والغرب على بسط السيطرة والنفوذ والتأثير.

4.1 مشكلة الدراسة

يتناول البحث سوق الغاز الطبيعي الذي كان مجال التعاون والشراكة الرئيسي بين أوروبا وروسيا، إذ ساهمت الاستثمارات والتكنولوجيا الغربية بتطوير قطاع الطاقة في روسيا. وساعدت الأجواء التي انتشرت بعد انتهاء الحرب الباردة، والتي بشرت بنظام دولي جديد ينزع فتيل الأزمات ويتخلص من بؤر الصراع، ويؤسس لعلاقات دولية جديدة تتغلب فيها لغة السياسة والمصالح على لغة القوة والحرب، هذه الأجواء ساعدت على زيادة صادرات الغاز الروسية الى أوروبا، لدرجة مكنت روسيا من الهيمنة فعلياً على سوق الغاز الاوروبي وأغراها بمحاولة ابتزاز أوروبا سياسياً مستخدمةً سلاح الطاقة. البحث يحاول التعرف على أثر تصاعد النزعة الوطنية والقومية في روسيا على آفاق التعاون بين روسيا وبروكسل، من خلال التعرف على سياسات روسيا مع محيطها وما اعتبرته مجالها الحيوي والاستراتيجي، في تعبير عن دوافع وأهداف سياسة روسيا في التصدي لتوسع الاتحاد الاوروبي في شرق أوروبا، ومحاولة تكريس الهيمنة والتأثير الروسي في تلك المنطقة، لتعلو لغة التنافس والنزاع على لغة التعاون والمصالح شيئاً فشيئاً، وتصل في نهاية المطاف الى حافة النزاع العسكري الشامل.

5.1 أسئلة الدراسة

السؤال الرئيسي للبحث: ما هي حدود وطبيعة التعاون والصراع بين روسيا والاتحاد الأوروبي؟

أما الأسئلة الفرعية فهي:

1. كيف تفسر نظريات العلاقات الدولية السياسات الخارجية لروسيا والغرب، والتي وضعت الطرفين

على حافة المواجهة بدلاً من فتح آفاق أوسع للتعاون والشراكة؟

2. ما هو مستوى الاعتماد الأوروبي على الغاز الروسي؟ وهل تستطيع أوروبا تحرير سوق الغاز من

الهيمنة الروسية؟ وما هي المشاريع الأوروبية لتحقيق هذه الغاية؟

3. ما هي خلفية وجذور ودوافع الأزمة الأوكرانية؟ وما هي نتائجها وآثارها الاقتصادية

والجيوستراتيجية؟

6.1 فرضية الدراسة ومنهجيتها

الدراسة تفترض أن تصاعد النزعة الوطنية والقومية في روسيا وسياساتها الخارجية التي هدفت إلى السيطرة

والتأثير على رابطة الدول المستقلة، تركت أثراً سلبياً على العلاقات الروسية - الأوروبية وآفاق التعاون

والشراكة بين الطرفين.

سوف يتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي في الدراسة، حيث يتم وصف عدد من الأحداث والوقائع

والاتفاقيات، ومن ثم تحليلها للتأكد من صحة فرضية البحث. وهو المنهج الذي يتناسب مع طبيعة البحث، إذ

أن نهاية الحرب الباردة وانحيار الاتحاد السوفييتي تمثل بداية لتاريخ جديد، له خصائصه وميزاته، ومن خلال

المنهج الوصفي يمكن التعرف على هذه الخصائص المرتبطة بموضوع البحث ومن ثم تحليلها للتأكد من صحة فرضية البحث والوصول الى نظرية تلخص وتجمع النتائج.

7.1 حدود الدراسة

الحدود الزمنية: الفترة الزمنية التي تناولها البحث هي 1991-2016، وهي الفترة التي تلت انهيار الاتحاد السوفييتي، حيث يمكن تحديد أهم ملامح السياسة الروسية، وريثة الاتحاد السوفييتي، وتطور هذه السياسة وتفاعلها وتعاطيها مع محيطها ومع جوارها الاوروبي الغربي.

الحدود المكانية: قارة أوروبا بشكل عام، مع تركيز خاص على أوكرانيا التي أصبحت مركز الشد والجذب والصراع، الرئيسي بين أوروبا وروسيا، والتي شغلت أزمته العالم ووضعت على أبواب حرب عالمية ثالثة.

الفصل الثاني

الاطار النظري للدراسة

1.2 الدراسات السابقة

1. Neoclassical Realism and Theories of Foreign Policy، للكاتب جديون روز

"Gedeon Rose"

البحث تناول النقاش الدائر بين الواقعيين الجدد ومنتقديهم، من خلال الاجابة على الاسئلة المتعلقة

بطبيعة النظام العالمي وتأثيره على انماط العلاقات الدولية ونتائجها كالسلم والحرب.

2. The Uniting of Europe، للكاتب شارلز هاس "Charles Haas"

استخدم هاس سوق الفحم والحديد الاوروبي، الذي يعتبر نواة الاتحاد الاوروبي، كمثال لتوضيح عملية تشكيل المجتمعات والكيانات السياسية التي تتجاوز الحدود الوطنية السياسية والاجتماعية التقليدية.

3. The Functional Theory of Politics، للكاتب ديفيد متراني "David Mitrany"

يعتبر الكتاب الاساس الفكري للنظرية الوظيفية التي تعتبر التكامل والتعاون السبيل الأمثل لتحقيق السلم العالمي، وترى أن تحقيق التكامل يتم من خلال التعاون الدائم المبني على أساس مهني وظيفي، بحيث تنتقل السيادة في المجالات الوظيفية (الصحة، الاقتصاد، التعليم...الخ) من الدول الوطنية الى المؤسسات العابرة للحدود الوطنية (Supranational).

4. العلاقات الروسية الأمريكية في ظل النظام الدولي الجديد، للكاتب محمد أحمد الغمري

تناولت الدراسة العلاقات الروسية الأمريكية ووضحت أهمية هذه العلاقة على المستوى الدولي ومنظومة العلاقات الدولية، وأشارت الى تحول هذه العلاقة من التعاون الى التنافس.

5. Frontline Ukraine: Crisis in the borderland، للكاتب ريتشارد ساكوا "Richar Sakwa"

تناول الكتاب الصراع الذي نشب بين روسيا والاتحاد الاوروبي بعد الاطاحة بحكومة كييف وضم روسيا لشبه جزيرة القرم، والنزاع المسلح الذي اندلع شرق أوكرانيا في الاقاليم التي يقطنها غالبية من السكان ذوي الاصول الروسية. وأشار الكتاب الى ان هذا الصراع لم يبدأ منذ تلك الحادثة بل له جذور قبلها.

6. Roots of Russia's War in Ukraine، لمجموعة من الكتاب "اليزابيث وود، ويليام بوميرانز،

وين ميري، مكسيم تروديليبوف" " Elizabeth Wood, William Pomeranz, Wayne Merry, and

"Maxim Trudolyubov

يتناول كل من المؤلفين ما اعتبروه حرباً روسية على أوكرانيا، ويحاول كل منهم الكشف عن الدوافع

التي أدت بروسيا إلى القيام بهذه الحرب، من خلال الإجابة على عدد من التساؤلات، ما الذي دفع

بوتين لإرسال الجيش الروسي إلى القرم؟ كيف امتد الصراع إلى مناطق شرق أوكرانيا المدعومة من

روسيا؟ إلى ماذا تشير الحرب فيما يتعلق بالولايات روسيا السياسية والاجتماعية والاقتصادية؟ وكيف

تكشف الحرب عن الفروقات بين الاتحاد الأوروبي وروسيا؟

2.2 النظرية الواقعية (Realism) في العلاقات الدولية

النظرية في السياسة الدولية بحسب كينيث والتز "قادرة على وصف المخارج المتوقعة من الأحداث والتفاعلات بين

الدول داخل نظام معين، كما تظهر النظرية كيفية تغير هذه المخارج المتوقعة بتغير النظام. تبين لنا النظرية في السياسة

الدولية ما هي الضغوط الممارسة وماهي الاحتمالات المتشكلة عن أنظمة بهيكليات مختلفة، لكنها غير قادرة على توصيف

كيف وإلى أي مدى فعال تكون استجابة وحدات هذا النظام إلى هذه الضغوط والاحتمالات. وبشكل عام فإن نظرية السياسة

الدولية تتصور السياسات الخارجية للدول وتفسر بعض المفاهيم المعينة فيها، فكلما حدد النظام الدولي حرية التحرك والرد

لوحدها أصبحت أفعالهم وسلوكهم أكثر توقعاً. (1)

النظرية الواقعية في العلاقات الدولية بمختلف تفرعاتها وعلى اختلاف مدارسها ترى في البشر حب السيطرة

الدائم والرغبة في المحافظة على السلطة والقوة. وترى في النظام الدولي فوضوية وعدم وجود سلطة عليا تلجأ

إليها الدول لحمايتها أو لمعالجة قضاياها العالقة مع الدول الأخرى، مما يؤدي إلى أن تغلو المصلحة الوطنية

¹) See, John J.Mearsheimer, Structural Realism, University of Chicago, pp69-72

لهذه الدولة على أي مصلحة أخرى. فالواقعيون لا يؤمنون بالمصالح المشتركة الدائمة بين الدول ويعتبرون أن خطر الحرب والاعتداء دائم الوجود بسبب عدم وجود سلطة عليا في النظام الدولي. ويرون أن الهدف الأسمى للدولة هو البقاء والنجاة، فبدون البقاء لا يوجد شيء آخر للدولة لتفعله. ويعتبرون أن النوايا الحسنة غير دائمة بين الدول وأن قوة دولة معينة بإمكانها أن تشكل خطر على وجود دولة أخرى. لذلك يؤمن الواقعيون بتوازن القوى كأداة للمحافظة على البقاء ومنع أي دولة أخرى من تشكيل خطر على وجودهم. تختلف النظرية الواقعية في وحدات تحليلها فالكلاسيكية ترى الدولة هي وحدة التحليل الأساسية للعلاقات الدولية أما الجديدة منها فتري النظام الدولي نفسه قاعدةً لتحليل العلاقات الدولية.⁽²⁾

تجادل الواقعية الكلاسيكية الجديدة تحديداً بأن القوة المادية النسبية تضع القواعد الأساسية للسياسة الخارجية، "الأقوياء يفعلون ما يستطيعون فعله، والضعفاء يعانون ما توجب عليهم أن يعانون"، حيث تختلف الواقعية الكلاسيكية الجديدة مع الواقعية الهجومية على سبيل المثال في إهمال الأخيرة لمصادر أو مقومات قوة الدولة وهي الظروف والعوامل المحلية الداخلية للدولة والتي تأتي عبر عدة قطاعات أساسية ومؤثرة في إرساء السياسة الخارجية. إن الواقعيين يعتبرون أيضاً بأن الدولة تبدأ بتعظيم قوتها الدفاعية إلا أن النظام الدولي الفوضوي وغياب الحتمية أو التنبؤ بالنوايا يفرض على الدولة التحول إلى بناء القوة الهجومية لتحقيق القدر الأعظم من الحماية لوجودها ومصالحها وبقاء توازن القوى لصالحها. فهم يرون الأمن نادر المصادر والوجود وبالتالي فعلى الدولة تعظيمه قدر الامكان بشكل نسبي لأن تعظيمه سيمنع الآخرين من الحصول عليه حيث أنه نادر الوجود. ويعتبر أصحاب هذه النظرية أن العوامل الداخلية غير مهمة لأن كل الدول ستتعامل بنفس الطريقة كاستجابة للضغوطات الواقعة عليها من النظام الدولي الفوضوي حتى لو كانت

²⁾ See, John J.Mearsheimer, Structural Realism, University of Chicago, pp69-72

تختلف من الداخل. ويعتبر أصحاب المدرسة الهجومية أن البيئة الخارجية للدولة وقدراتها النسبية (قوتها) هما المؤشر الحقيقي لتفسير سياستها الخارجية.³⁽³⁾

أما المدرسة الواقعية الدفاعية فتعتبر بالأساس الأمن متنوع ومتوفر وليس نادراً بالتالي لا داعي للسباق لتعظيمه. وأن فوضوية النظام الدولي حميدة بوجهها العام والدول تتعلم ذلك عبر الخبرة، وأن الدول العقلانية (التي تأخذ قراراتها بشكل عقلائي للمحافظة على مصالحها) بإمكانها أن تهدأ وترتاح وتستجيب للأخطار الخارجية النادرة أساساً وفقاً للمعطيات، وأن مواجهة هذه الأخطار ممكنة عبر "التوازن" لردع هذا التهديد وتجنب الدخول في صراع. لكن الاستثناء الأساسي لهذه القاعدة يأتي عند اشتعال "المعضلة الأمنية" (سباق التسلح بين الدول والذي يجعل قوة دولة ما خطر على دولة أخرى أو تهديد مما يحثها على تعظيم قوتها وهكذا)، وهو ما يجعل الدفاع يتحول إلى هجوم، وهو ما قد يؤدي في حال ارتفاع حدته إلى المواجهة والصراع. إلا أن هناك العديد من العوامل المتدخلة برأي المدرسة الدفاعية للتخفيف من حدة التصاعد والوصول إلى النزاع. وأن الخطر الوحيد في هذه الحالة يقع على الدولة الضالة أو غير الرشيدة والتي لا تنتبأ بالبيئة الدولية المحيطة بها. وهنا يظهر لنا من المدرسة الهجومية وعلى الرغم من قدرته على التفسير والتنبؤ بالأحداث، إلا أن هذا التنبؤ يتسم بعدم الدقة أو التبسيط المبالغ فيه. فالنظرية بالأساس نظامية (Systematic theory). لكن الحقيقة تقول بأن دولتين تتعرضان إلى نفس الظروف الخارجية والبيئة الخارجية ليس بالضرورة أن تتصرفا بنفس الطريقة أو بنفس رد الفعل في ارساء سياستهما الخارجية. أما الدفاعية فإنها تذهب إلى ما يمكن تسميته بالسلوك "الطبيعي" للنظام الدولي والذي يرحح عمل عدواني خارجي فقط في حالة رصد عسكري تكنولوجي أو عوامل تظهر بوضوح تفرض على الدولة الضربة

³⁾ See, Gideon Rose, World Politics, Neoclassical Realism and theories of foreign policy, 1998, pp146-152

الاستباقية أو البدء بالتحرك أولاً. أما الأنواع الأخرى من الأعمال العدائية فهي تعتبرها "غير طبيعية" يمكن اشتقاق أسبابها من فرضيات إضافية تسلط الضوء على عوامل داخلية للدولة.

إن الواقعيين الكلاسيكيين الجدد يرون بأن العوامل والضغطات المحيطة بصانع القرار في السياسة الخارجية للدول لا تأتي محدداتها عبر البيئة الخارجية فقط بل تتعداها الى الداخل، كما يرون بأن الدولة تستجيب للأخطار المجهولة في النظام الدولي الفوضوي عبر السعي الدائم للتحكم في البيئة الخارجية وتشكيلها وليس عبر تعظيم الأمن. وترى الواقعية الكلاسيكية الجديدة بهذا الصدد أنه كلما طال أجل تنامي القوة المادية ومصادر القوة في هذه الدولة كلما عظم حجم وتأثير سياستها الخارجية، أي أن هناك علاقة طردية فكما ازدادت القوة ومقوماتها لدى الدولة كلما ازدادت رغبتها بالتأثير الخارجي، والعكس صحيح. ويرى هنا الكاتب جدعون روز بأن الكلاسيكية الجديدة تقع بالمنتصف بين الواقعية البنائية والبنوية، وأنها ترى النظام الدولي فوضوي حميد وليس خبيث، كما ترى فروقاً مهمة في وحدات التحليل المختلفة وتعتبر أن المحفزات النظامية من البيئة الخارجية كعوامل مستقلة تجتمع مع العوامل الداخلية المؤثرة على صانع القرار وهي عوامل متدخلة تجتمعان معاً لتشكيل السياسة الخارجية للدولة.⁴⁽⁴⁾

3.2 النظرية الليبرالية (Liberalism) والوظيفية (Functionalism) في العلاقات الدولية

" المدرسة الليبرالية في العلاقات الدولية تفترض أن حالة الصراع والحرب بين الدول ليست حتمية، وأن عقلانية الانسان تدفعه للتعاون مع الآخرين بدلاً من التصادم معهم في سبيل الوصول الى حالة من السلم والرخاء الذي يمثل مطمحا أصيلاً لدى البشر، على عكس النظرية الواقعية التي تفترض حتمية الصراع وأصالة العدوانية لدى البشر. أبرز ما يميز المدرسة الليبرالية هو التفاوض، وأحياناً المثالية، في التعاطي مع العلاقات الدولية، فالفيلسوف إيمانويل كانط (1724 - 1804) الذي يعتبر أحد

⁴ انظر المرجع السابق

مؤسسي وأهم منظري الليبرالية اعتقد بإمكانية تأسيس نظام فيدرالي عالمي تجتمع تحت سقفه جميع دول العالم وتتعاون مع بعضها للوصول إلى حالة سلام واستقرار دائمين. ولكن يتطلب الوصول لذلك النموذج المثالي تحقيق ثلاثة شروط، وهي:

- انتشار الديمقراطية على مستوى العالم.
- زيادة عدد المنظمات والمعاهدات الدولية.
- وأخيراً تمتين الترابط الاقتصادي والثقافي والأمني بين الدول.

ومن مميزات المدخل الليبرالي في دراسة العلاقات الدولية، الاعتقاد بوجود ترابط بين المؤسسات والسياسات الداخلية ضمن الدولة وبين علاقاتها الدولية وسياساتها الخارجية. حيث يسود اعتقاد بين الليبراليين بوجود رابط عضوي، بين شكل نظام الحكم في الدولة ومدى نزوعها للحرب أو السلم. ويعتقد الليبراليون أن الدول الديمقراطية أكثر ميلاً نحو التعاون والسلم. وهذه الفكرة أصبحت لاحقاً القاعدة التي بنيت عليها النظرية المعاصرة في "السلم الديمقراطي". وإلى جانب ذلك، يركز الليبراليون على دور مأسسة وتقنين العلاقات الدولية في الوصول إلى عالم أكثر أمناً واستقراراً. وذلك مبني على اعتقاد، بأن السبب وراء انخفاض عدد الحروب منذ مطلع القرن العشرين، يعود إلى التزايد المضطرب في عدد المنظمات والاتحادات العالمية، إضافة إلى ازدياد عدد المعاهدات والاتفاقيات الدولية. أيضاً يسود اعتقاد بين الليبراليين بأن زيادة المعاهدات والاتفاقيات الإقليمية والدولية، سيسهم حتماً في تطوير فكرة القانون الدولي وتنظيم العلاقات بين الفاعلين الدوليين، كالدول والمنظمات الحكومية وغير الحكومية والشخصيات ذات النفوذ. تاريخياً، لعب أصحاب هذا الاتجاه دوراً رئيساً في الدفع باتجاه تأسيس عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى، لتكون بديلاً لسياسات توازن القوى، والتي لم تتجح في تفادي اندلاع تلك الحرب المدمرة. ومن الناحية الاقتصادية، يعتقد الكثير من الليبراليين، أن زيادة الترابط والتبادل الاقتصادي بين الدول يقلل من احتمال الدخول في حروب ونزاعات. وقد برز ذلك في نظريات المفكر البريطاني ذو الأصول البرتغالية ديفيد ريكاردو (1772 - 1823)، الذي طور نظرية سميث وقدم مفهوم الفائدة النسبية "Comparative Advantage"، ويعتبر من أبرز من أسسوا لهذا الاتجاه الاقتصادي في العلاقات الدولية، فرأى ريكاردو أن زيادة حجم التجارة الحرة سيسهم في التقليل من الحروب، فتحقيق الربح عن طريق التجارة والتعاون سيني الحاجة للحرب. استمر هذا الاتجاه الاقتصادي في النمو طيلة القرن العشرين وتبلور على شكل

نظرية تسمى "الاعتماد المتبادل". تقوم هذه النظرية، على فكرة أن زيادة الترابط والاعتمادية الاقتصادية سيرفع من تكلفة الحروب، وبالتالي ستسعى الدول لتجنب الحرب لما لها من خسائر اقتصادية محتملة" (5)

النظرية الوظيفية في العلاقات الدولية (Functionalism) تعتبر امتداداً للنظرية الليبرالية، وقد كان المفكر الروماني ميثراني (1888-1975) أهم مؤسسي ومنظري النظرية الوظيفية. ومع اتفاه مع النظرية الليبرالية بضرورة التكامل والاندماج لتحقيق سلم عالمي دائم، إلا أنه أبدى تحفظاته على الجهود السياسية الرسمية لتحقيق التكامل وما نتج عنها من منظمات ومؤسسات عالمية كمنظمة الأمم المتحدة، التي رأى ميثراني أنها كانت جامدة وأعاقت التعاون الدولي، كما انها لم تكن واقعية بسبب نظام التصويت الذي منح جميع الدول صوتاً واحداً متساوياً رغم التباين الكبير بين الدول من حيث الحجم والوزن الديمغرافي والاقتصادي والسياسي. إضافة إلى أن هذه المنظمة فشلت في إحلال السلام العالمي ومنع الحروب. من هنا طرحت النظرية الوظيفية التعاون العملي التقني على الأرض بشكل دائم كأساس لإنشاء المنظمات التي تتجاوز الحدود الوطنية وتحقق التكامل بين الدول المنخرطة فيها، بحيث تكون هذه المنظمات وظيفية (اقتصادية، تعليمية، زراعية... الخ)، وتتوفر مصلحة مشتركة للدول المنخرطة فيها. ويأخذ التصويت في هذه المنظمات بعين الاعتبار القوة والوزن النسبي للأعضاء، ثم تنتقل السيادة في هذه المجالات الوظيفية (الصحة، الاقتصاد، التعليم... الخ) من الدول الوطنية إلى هذه المؤسسات العابرة للحدود الوطنية (Supranational). (6)

النظرية الوظيفية أسست لظهور **الوظيفية الجديدة** على يد المفكر هاس. وقد اقترحت الوظيفية الجديدة بدء عملية التكامل من الدول الوطنية. وأشارت إلى أن الدولة الوطنية هي الحالة التي تظهر فيها المجموعات والأفراد ولأهم للمؤسسات السياسية المركزية ضمن نطاق زمني وجغرافي محدد. ورغم وجود الخلاف داخل

⁵) MacClanahan Shophet, European Integration, European Studies, Al Quds University, 2010

⁶ المرجع السابق

هذه المجتمعات السياسية الا أن الغالبية العظمى من السكان تعترف وتقبل بشرعية النظام الحاكم. وحيث أن الولاء مرن ويمكن أن يتحول وينتقل لمؤسسات جديدة وفقا لمصالح مجموعات مؤثرة داخل المجتمع، اقترحت الوظيفة الجديدة التكامل بين الدول الوطنية في قطاعات وظيفية او اقتصادية محدودة، بحيث تشهد هذه الدول التي دخلت في مشاريع التكامل الجزئية حافزا وقوة للتكامل في مجالات اضافية، هذه القوة العفوية والتي لا يمكن صدها عرفت بتأثير التمدد او الفيضان (spill-over effect). وتعني ان اجراءات التكامل والاندماج في مجال من المجالات سيمتد ليشمل مجالات اضافية بشكل تلقائي. وهذه الظاهرة لها آثار مرتبطة بثلاث مجالات. فمن الناحية الوظيفية فان التكامل في أحد القطاعات سيمتد ليشمل قطاعات أخرى مرتبطة به، فمثلا التكامل في قطاع الزراعة سيمتد لمجال البنية التحتية ومواصفات الجودة. ومن الناحية السياسية فان انضمام عدد من مجموعات المصالح والاحزاب للكيان الناشيء من مشاريع التكامل سيولد ضغطا على من ظلوا خارج اطار هذه المشاريع. فالتكامل سيمنح المشتركين به ميزات اقتصادية وتجارية وقوة تنافسية تفوق الاطراف التي بقيت خارج اطار الاندماج، مهددا هذه الاطراف بخسارة أجزاء من حصصها السوقية وواضعا اياها تحت ضغوط تجبرها على الانضمام لمشروع التكامل حتى وان لم تؤمن به، كما حصل مع بريطانيا التي عارضت الاتحاد الاوروبي في البداية، لتتضم له تحت ضغط الفوائد التنافسية التي حققها اقتصاد وبضائع الدول التي انضمت للاتحاد.⁽⁷⁾

من الاطلاع على هذه النظريات يتضح أن النظرية الواقعية تفسر الى حد كبير سياسة روسيا الخارجية. فالمصلحة الوطنية لروسيا كانت مقدمة على أي مصلحة أخرى عند واضع السياسة في الكرملين. وكانت غاية السياسة الروسية هي الحفاظ على الدولة وبقائها وحمايتها من خطر الحرب والاعتداء. ومن هنا تعاملت

⁽⁷⁾ المرجع السابق

روسيا مع التوسع الغربي في شرق أوروبا وصولا الى رابطة الدول المستقلة كتهديد وخطر مباشر يستهدف الدولة الروسية وبقائها. وحيث أن موازين القوة وفقا للنظرية الواقعية تحدد قدرة ورغبة الدولة بالتأثير الخارجي، فان روسيا رغم معارضتها للتوسع الغربي الا أنها اضطرت للقبول بالأمر الواقع في نهاية التسعينات من القرن الماضي ومطلع القرن الحالي حيث بدأت دول أوروبا الشرقية بالانضمام للاتحاد الاوروبي وللناتو. ومع تحسن الاقتصاد الروسي وامتلاكه لفوائض مالية ضخمة نتيجة الارتفاع الكبير بسعر برميل النفط، الذي يشكل العامود الفقري للاقتصاد الروسي، ازدادت رغبة وقدرة روسيا على التأثير الخارجي. وتجسد ذلك في حرب الأيام الخمسة في جورجيا، ثم في أزمة القرم والحراك الانفصالي العسكري في شرق أوكرانيا.

وعلى الجانب الآخر، فان النظرية الليبرالية، والوظيفية الجديدة تحديدا، كانت المدرسة التي انتمى اليها وآمن بها القادة الاوروبيون، حيث بدأ الاتحاد الاوروبي على شكل شراكة في قطاع الفحم والفولاذ (Coal and Steel Community) ضم ستة دول فقط، لتتسع هذه الشراكة وظيفيا وجغرافيا وسياسيا حتى تصل الى نموذج الاتحاد الاوروبي الذي نراه اليوم بكل ما يحتويه من تكامل واندماج اقتصادي واجتماعي وتشريعي وسياسي. وقد نجحت هذه السياسة بتحويل علاقة ألمانيا مع جيرانها من علاقة تهديد وخطر دائم الى علاقة تكامل وتعاون واعتماد متبادل نجح في تحقيق السلام في أوروبا. لذا فان السياسة الأوروبية التي كانت غايتها تحقيق السلم والازدهار اعتمدت ذات الاساليب بعد انتهاء الحرب الباردة، فسعت الى تعزيز التعاون مع الدول التي كانت تخضع لهيمنة الاتحاد السوفييتي السابق ونشر الديمقراطية فيها وصولا الى ادماجها الكامل بالاتحاد الاوروبي. والتعاون الاوروبي لم يشمل أوروبا الشرقية ورابطة الدول المستقلة فقط، بل وصل الى روسيا أيضا، حيث ضخ الاوروبيون عشرات المليارات من الدولارات في الاقتصاد الروسي وصدروا التكنولوجيا الضرورية لتطوير قطاع الطاقة الروسي، ليساهموا بشكل فعال في زيادة الانتاج الروسي من النفط

والغاز، لتهيمن روسيا على صادرات النفط والغاز لاوروبيا. كان الاوروبيون يأملون ويتوقعون أن هذه الزيادة في حجم التجارة الاوروبية-الروسية ستساهم بخلق حالة من الاعتماد المتبادل الذي يجعل تكلفة الحرب باهظة، ويحد بالتالي من امكانية حدوثها. وقد كانت التوقعات الاوروبية في مكانها من ناحية أن العلاقات التجارية سترفع من تكلفة النزاع، وتجلى ذلك في العقوبات الاقتصادية الغربية التي فرضت على روسيا بعد أزمة القرم وكانت آثارها شديدة ومؤلمة على الاقتصاد الروسي، لكن التوقعات الاوروبية لم تكن في مكانها من ناحية التكهن بردة الفعل الروسية على سياسة الاتحاد الاوروبي بالتوسع شرقا وصولا الى اوكرانيا ذات الموقع الاستراتيجي بالنسبة لروسيا، لتتسبب هذه السياسة باستفزاز روسيا ودفعها الى خطوات هددت الأمن والسلام الاوروبي، الذي كان تحقيقه الهدف الأساسي للسياسة الاوروبية.

روسيا من جانبها فشلت في توقع ردة الفعل الغربية على خطواتها في القرم وشرق أوكرانيا، وتسببت سياساتها في التعرض لعقوبات اقتصادية كان أثرها شديداً على الاقتصاد الروسي وتركته في حال أعاد الى الذاكرة الأوضاع التي سادت قبيل انهيار الاتحاد السوفييتي، ناهيك عن أن الاستفزاز الروسي أطلق شرارة نشاط عسكري غير مسبوق للنااتو في الساحة الخلفية لروسيا، اوكرانيا وبحر البلطيق، لتفشل سياسة روسيا الواقعية في تحقيق غاياتها المتمثلة بحماية وبقاء النظام الذي بات كثير من المحللين يصفونه بالعملاق العسكري ذو الأرجل الخشبية، متوقعين سقوطه كما سقط الاتحاد السوفييتي وتفكك.

لذا، يمكن القول، وبغض النظر عن تحميل المسؤولية لهذا الطرف أو ذاك، ان الطرفين، الروسي والغربي، من اعتمد السياسة الواقعية، ومن اعتمد السياسة الليبرالية، فشل بالتحلي بالمرونة المطلوبة لطمأنة الطرف الآخر والحد من مخاوفه وشكوكه، وتأسيس علاقة قائمة على التعاون والشراكة والنوايا الحسنة.

الفصل الثالث

الغاز الروسي، أداة التعاون والنزاع

1.3 الغاز الطبيعي

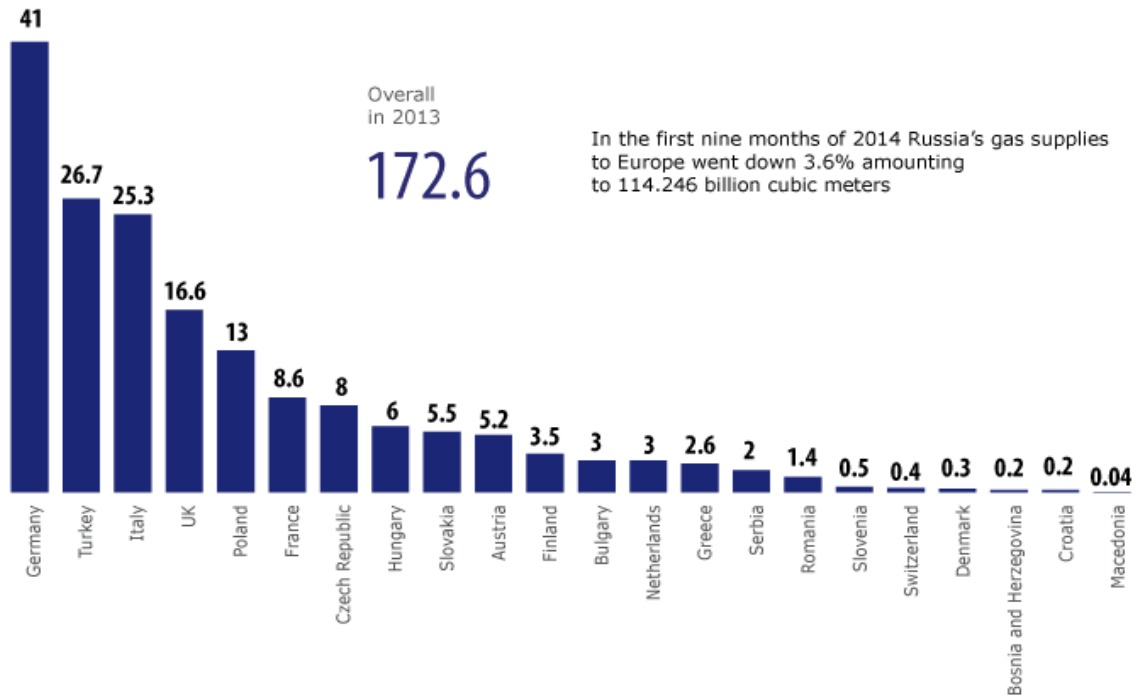
في حزيران من عام 2014، قطعت روسيا الغاز عن اوكرانيا بحجة الخلاف على تأخر دفعات من ثمن الغاز الروسي المورد لاوركرانيا. لم تكن هذه الحادثة الاولى، فقد قامت روسيا بالخطوة ذاتها عامي 2006 و2009 خالقة مصاعب جدية لوصول الغاز الروسي الى أوروبا ومهددة بعدم توفر الغاز للمستهلكين الاوروبيين خلال فصول الشتاء شديدة البرودة. هذه الاحداث اثارت موجة من التعليقات والنقاش حول الاعتماد الاوروبي على مصادر الطاقة الروسية، وتحديد اعتمادهما على الغاز الطبيعي الروسي، وكانت محصلة هذا الجدل بروز توجهات ونزعة أوروبية لتحرير سوق الطاقة من السيطرة الروسية وتحقيق الأمن الاوروبي في مجال الطاقة.

كما يتضح من الرسم 1.3 و الجدول 1.3 فان صادرات الغاز الروسية لاوروبا تجاوزت 100 مليار متر مكعب سنويا خلال تسعينيات القرن الماضي، وتجاوزت 160 مليار متر مكعب عام 2006، وانخفضت مع

الازمة المالية العالمية لتصل الى 152 مليار متر مكعب عام 2010، قبل ان تعاود الارتفاع و تصل الى 173 مليار متر مكعب عام 2013.

رسم (1.3): صادرات الغاز الروسي الى أوروبا عام 2013

RUSSIA'S NATURAL GAS EXPORT TO EUROPE IN 2013, bln cubic meters



المصدر: www.endofcrudeoil.com/2014/12/europes-natural-gas-suppliers-snd.html

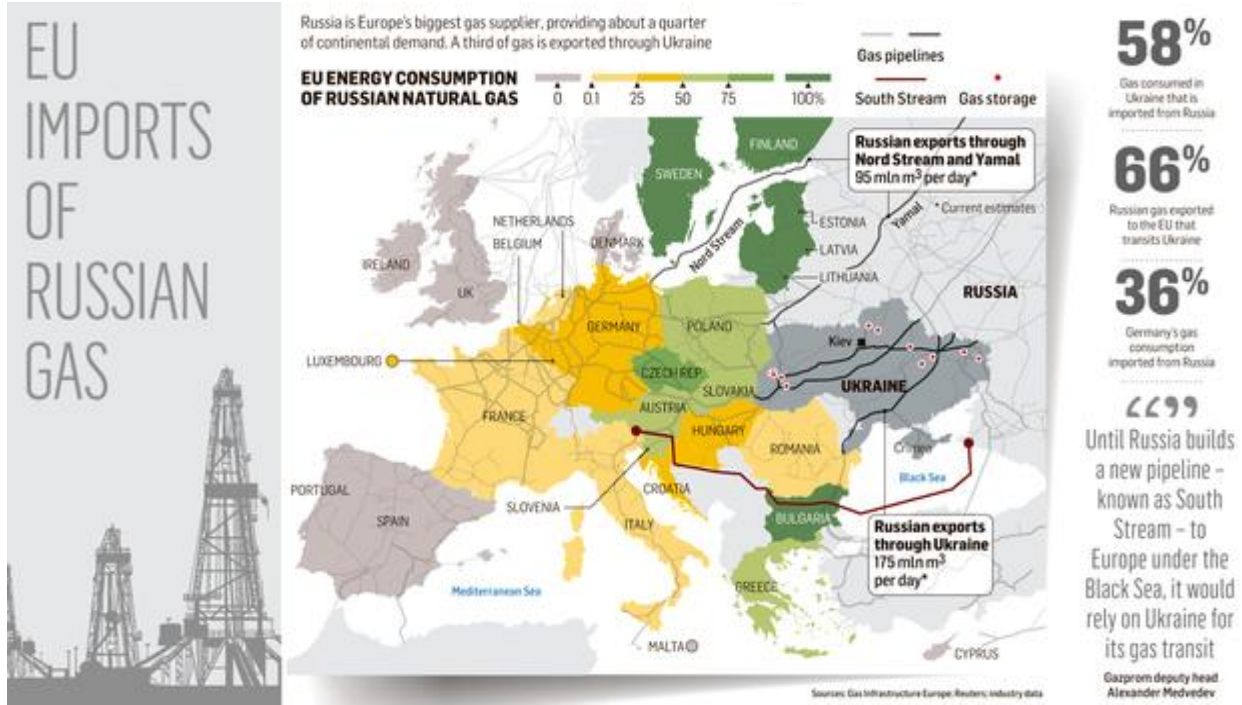
جدول (1.3): صادرات الغاز الروسية لاوروبا "بالمليار متر مكعب"

	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013
WESTERN											
Austria	6	6	6.8	6.6	5.4	5.8	5.4	5.6	5.4	5.4	5.2
Belgium	0	0	2	3.2	4.3	3.4	0.5	0.5	0	0	0
Denmark	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0.3	0.3
Estonia	0.8	0.9	1.3	0.7	0.9	0.6	0.8	0.4	0.7	0.6	0.7
Finland	5.1	5	4.5	4.9	4.7	4.8	4.4	4.8	4.2	3.7	3.5
France	11.2	14	13.2	10	10.1	10.4	8.3	8.9	8.5	8.2	8.6
Germany	35	40.9	36	34.4	34.5	37.9	33.5	35.3	34.1	34	41
Greece	1.9	2.2	2.4	2.7	3.1	2.8	2.1	2.1	2.9	2.5	2.6
Ireland	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0.3	0.5
Italy	19.8	21.6	22	22.1	22	22.4	19.1	13.1	17.1	15.1	25.3
Latvia	2.4	1.2	1.4	1.4	1	0.7	1.1	0.7	1.2	1.1	1.1
Lithuania	2.9	2.9	2.8	2.8	3.4	2.8	2.5	2.8	3.2	3.1	2.4
Netherlands	2.3	2.7	4.1	4.7	5.5	5.3	4.3	4.3	4.5	2.9	2.9
Switzerland	0.3	0.3	0.4	0.4	0.4	0.3	0.3	0.3	0.3	0.3	0.4
Turkey	12.9	14.5	18	19.9	23.4	23.8	20	18	26	27	26.7
United Kingdom	0	0	3.8	8.7	15.2	7.7	11.9	10.7	12.9	11.7	16.6
Sub-Total	100.6	112.2	118.7	122.5	133.9	128.7	114.2	107.5	121	116.2	137.8
EASTERN											
Bosnia and Herzegov	0.2	0.3	0.4	0.4	0.3	0.3	0.2	0.2	0.3	0.3	0.2
Bulgaria	2.9	3	2.6	2.7	2.8	2.9	2.2	2.3	2.5	2.5	2.9
Croatia	1.2	1.1	1.2	1.1	1.1	1.2	1.1	1.1	0	0	0.2
Czech Republic	7.4	6.8	7.4	7.4	7.2	7.9	7	9	8.2	8.3	7.9
Hungary	10.4	9.3	9	8.8	7.5	8.9	7.6	6.9	6.3	5.3	6
Macedonia	0.1	0.1	0.1	0.1	0.1	0.1	0.1	0.1	0.1	0.1	0.1
Poland	7.4	6.3	7	7.7	7	7.9	9	11.8	10.3	13.1	12.9
Romania	5.1	4.1	5	5.5	4.5	4.2	2.5	2.6	3.2	2.5	1.4
Serbia	1.9	2.3	2	2.1	2.1	2.2	1.7	2.1	2.1	1.9	2
Slovakia	7.3	7.8	7.5	7	6.2	6.2	5.4	5.8	5.9	4.3	5.5
Slovenia	0.7	0.7	0.7	0.7	0.6	0.6	0.5	0.5	0.5	0.5	0.5
Other countries	0	0	0	0.4	0.5	0.6	1.2	2.1	1.3	0.8	1.2
Sub-Total	44.6	41.8	42.9	43.9	39.9	43	38.5	44.5	40.7	39.6	40.8
GRAND TOTAL	145.2	154	143.5	166.4	173.8	171.7	152.7	152	161.7	155.8	178.6
Deliveries under long term contracts**					158.8	168.5	142.8	138.6	150.3	139.9	166

المصدر: Gazprom in figures 2005-2009, p.56; 2008-2012, p.63; 2009-2013, p.67

ومع ذلك، فإن كل الزيادة في الصادرات الروسية كانت موجهة نحو غرب أوروبا. فرغم هيمنة روسيا الكاملة على العديد من أسواق الغاز في شرق ووسط أوروبا، إلا أن صادرات الغاز الروسي لوسط القارة وشرقيها شهدت انخفاضا ملحوظا بسبب انخفاض الطلب الناتج عن إعادة هيكلة اقتصاديات هذه الدول، إضافة إلى ارتفاع سعر الغاز مقارنة بالأسعار التفضيلية التي كانت تحصل عليها هذه الدول خلال الحقبة السوفييتية. الزيادة في الصادرات الروسية نجمت عن دولتين بشكل أساسي، تركيا التي ضاعفت كمية الغاز الروسي الذي كانت تستورده بسبب نمو اقتصادها وزيادة الطلب على الطاقة لتصبح ثاني أكبر مستورد للغاز الروسي بعد ألمانيا، والمملكة المتحدة التي كانت لا تستورد الغاز الروسي على الإطلاق قبل عام 2005، لتصبح رابع أكبر سوق لغاز بروم (Gazprom) عام 2013. رسم (2.3)

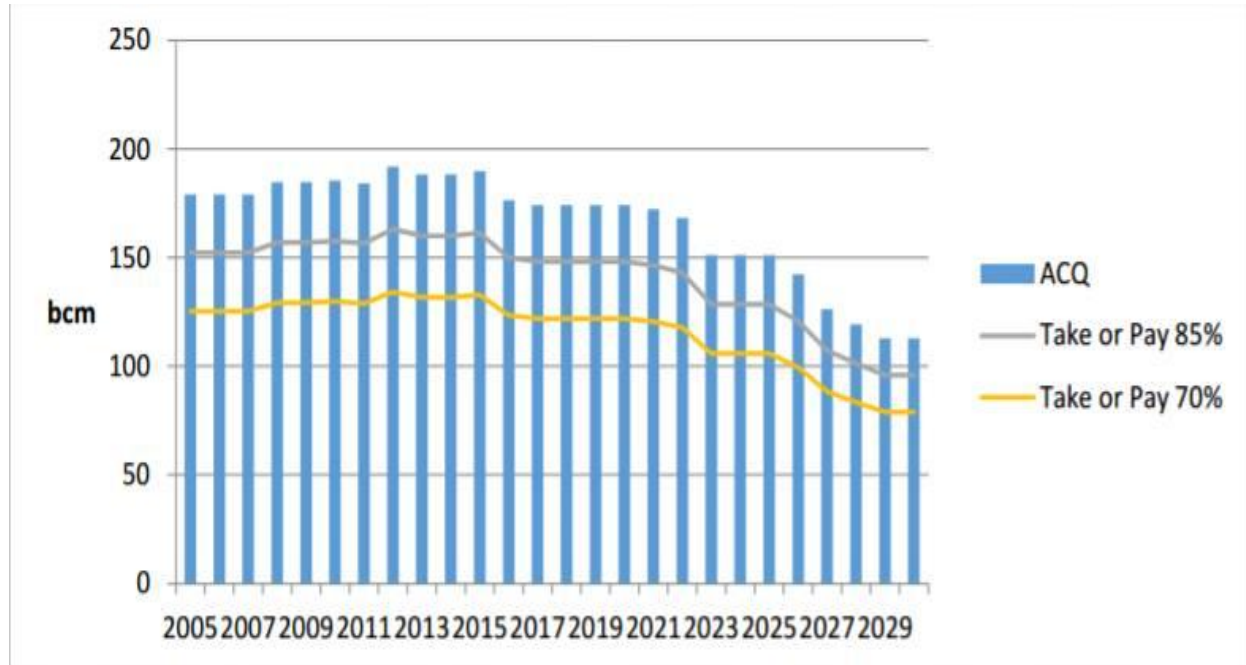
رسم (2.3): واردات أوروبا من الغاز الروسي، والبنية التحتية من خطوط الأنابيب



المصدر : Gas Infrastructure Europe, Reuters, industry data

روسيا هي أكبر مزوودي أوروبا بالغاز، حيث يستحوذ الغاز الروسي على 34% من مجمل الغاز المصدر الى أوروبا، ومعظم مبيعات الغاز هذه تتم بعقود آجلة طويلة الأمد تمتد من 10 الى 35 سنة، وهذه العقود تتضمن شروطا تلزم الطرف المشتري بدفع قيمة حد أدنى من الكميات حتى وان لم يتم فعلياً بشرائها او استلامها (take-or-pay). ووفقا لهذه العقود فإن القارة الأوروبية ملزمة بدفع قيمة أكثر من 115 مليار متر مكعب عام 2020، و65 مليار متر مكعب عام 2030 (رسم 3.3).

رسم (3.3): صادرات الغاز الروسية طويلة الأمد لأوروبا، مع الكميات الإلزامية (Take or Pay)



المصدر: ERI RAS in Henderson and Pirani (2014), figure 3.3, p.60.

هذه العقود طويلة الأمد والزامها المستورد الأوروبي بالدفع حتى وان لم يستلم الكميات التي تحددها العقود، تصعب المحاولات الأوروبية من تقليل الاعتماد على الغاز الروسي على المدى القصير. لذلك فإن رئيس الاتحاد الأوروبي باروسو قال في رسالة وجهها للرئيس الروسي عام 2014 ان الاتحاد الأوروبي يتوقع من كافة الشركاء التجاريين في الطرفين، الأوروبي والروسي، احترام التزاماتهم التعاقدية. وان مسؤولية غاز بروم تقتضي ان تقوم بتزويد شركائها الأوروبيين بالكميات المنصوص عليها في العقود الموقعة بين غاز بروم

والشركات الأوروبية.⁽⁸⁾ وهذه الرسالة تمثل تأكيدا من مسؤول أوروبي رفيع المستوى بالالتزام بتنفيذ العقود الموقعة مع غاز بروم بغض النظر عن الازمة الاوكرانية والتطورات السياسية المرتبطة بها.

لكن الكثير من الداعين للتخلص من السيطرة الروسية على امدادات الغاز لاوروبا يشيرون الى توفر العديد من منتجي الغاز حول اوروبا، وهي أذربيجان، كازاخستان، النرويج، هولندا، تركمانستان، اوزبكستان، ايران، العراق، قطر، الجزائر، اسرائيل، مصر، قبرص، المملكة المتحدة، أمريكا، وكندا. وحيث أن أوروبا تمتلك قدرة تخزينية تصل الى 80 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي، و200 مليار متر مكعب من الغاز المسال فان الاستغناء عن الغاز الروسي واستبداله يبدو أمرا سهلا. وللتأكد من صحة هذا التحليل لا بد من فحص امكانيات تحقق هذا السيناريو من خلال دراسة الطلب الاوروبي على الغاز وتوقعات نموه، ودراسة امكانيات الدول المنتجة للغاز وقدرتها على استبدال الغاز الروسي. ولو بدأنا بالغاز الاوروبي، فاننا نجد أن الغاز المستخرج من اوروبا كان يغطي معظم احتياجاتها في سبعينيات القرن الماضي. لكن مع نمو الاقتصاد وارتفاع الطلب وانخفاض الانتاج فان الغاز الاوروبي اصبح يغطي 57% فقط من طلب الاتحاد الاوروبي على الغاز.⁽⁹⁾

النرويج هي اهم منتجي الغاز الاوروبيين، وهي ثالث أكبر مصدر للغاز في العالم بعد روسيا وقطر، وتغطي حوالي 22% من احتياج المنطقة للغاز ويصل انتاجها ل 109 مليار متر مكعب سنويا يتم تصدير معظمه لدول اوروبا الغربية عبر خطوط انابيب او بواسطة السفن التي تحمل الغاز المسال.

⁸) Letter from President Barroso to President Putin, European Commission Statement, Brussels, 17 April 2014.

⁹) Europe in IEA Natural Gas (2014), p. II.4 and II.8

الدولة الأوروبية الثانية التي تصدر الغاز لجاراتها بكميات كبيرة هي هولندا، حيث تنتج حوالي 86 مليار متر مكعب سنويا، وتعتبر ثاني مصدر للغاز في أوروبا بعد النرويج. إلا أن الإنتاج الهولندي بدأ يأخذ اتجاه هابط منذ 2010 ومن المتوقع أن يستمر هذا الاتجاه حتى عام 2030 ما لم يتم اكتشاف حقول غاز جديدة. المملكة المتحدة تنتج حوالي 38 مليار متر مكعب من الغاز سنويا. إلا أن هذه الكمية تمثل فقط نصف احتياجها حيث تقوم لندن باستيراد النصف الآخر. معظم الإنتاج البريطاني يأتي من بحر الشمال حيث وصل إلى 120 مليار متر مكعب عام 2000 إلى أنه تعرض إلى انخفاض حاد ليصل إلى مستوياته الحالية ومن المتوقع أن يستمر هذا الانخفاض ليصل إلى 20 مليار متر مكعب عام 2030.⁽¹⁰⁾

دول أوروبية أخرى تنتج الغاز الطبيعي بكميات متفاوتة لكنها لا تكفي استهلاكها المحلي وتقوم بالاستيراد لتغطية حاجتها من الطاقة مثل ألمانيا، رومانيا، إيطاليا، وبولندا. باستثناء الدنمارك التي يسد إنتاجها احتياجها من الغاز وتقوم بتصدير كميات قليلة من الغاز أحيانا، إلا أن إنتاج هذه الدول أيضا يأخذ اتجاهها هابطا من المتوقع استمراره حتى العام 2030 كما يوضح الجدول (2.3).

جدول رقم (2.3): الإنتاج الأوروبي من الغاز الطبيعي (بالمليار متر مكعب)

	2013	2015
Norway	109	109
UK	38	38
Netherlands	86	71
Other	49	48
TOTAL	282	266
Norway/UK/Netherlands as a % of total	83	82

المصدر: Danish Energy Agency (2014), figure 3-5

¹⁰⁾ http://www.oilandfasuk.co.uk/economic_report/production.cfm

المصدر الثاني للغاز المصدر لاوروبا هو شمال أفريقيا، مصر وليبيا والجزائر. وهذه الدول تعتبر شريك تاريخي لاوروبا في مجال الطاقة، النفط والغاز. وهي ثاني أكبر مصدر للغاز لاوروبا، حيث بلغت صادراتها من الغاز لاوروبا 44 مليار متر مكعب، كما هو موضح في جدول (3.3).

جدول (3.3): انتاج دول شمال افريقيا من الغاز الطبيعي (بالمليار متر مكعب)

	Marketed production, 2013 <i>bcm</i>	Exports, 2013	
		Gross exports, <i>bcm</i>	of which to Europe, <i>bcm</i>
Algeria	78.6	40.3	38.3
Egypt	56.1	3.7	0.4
Libya	12.0	5.7	5.2
Region	146.6	49.7	43.9

المصدر: Cedigaz (2014), BP (2014)

ومع امتلاك هذه الدول احتياطات ضخمة من الغاز، وتوالي الكشف عن حقول غاز جديدة، تحديدا في المياه المصرية شرق البحر المتوسط، حيث اعلنت شركة ايني الايطالية في 30 آب، 2015 عن اكتشاف حقل غاز عملاق قبالة السواحل المصرية. وقالت الشركة أن حقل (ظهر) المكتشف يحتوي على احتياطات أصلية تقدر بحوالي 30 تريليون متر مكعب من الغاز الطبيعي، ما يجعله الأكبر على الإطلاق في البحر المتوسط، وأحد أكبر اكتشافات الغاز في العالم.⁽¹¹⁾

⁽¹¹⁾ "مصر تعلن اكتشاف أكبر حقل غاز بالمتوسط"، سكاى نيوز العربية، 30 اغسطس 2015
<http://www.skynewsarabia.com/web/article/771005/>

هذه الميزات والاحتياجات من الغاز تجعل من شمال افريقيا مرشحا محتملا على المدى البعيد والمتوسط لسد الاحتياجات الاوروبية المتزايدة من الغاز، اضافة الى خفض الاعتماد الاوروبي على الغاز الروسي. لكن على المدى القريب فان حالة عدم الاستقرار التي سادت في ليبيا، وبدرجة أقل في مصر، عقب اندلاع ثورات الربيع العربي قد اضررت كثيرا بقطاع الطاقة في هذه الدول. ولم يعد الانتاج المصري كافيا لسد احتياجات السوق المحلي. وتحولت مصر الى دولة مستوردة للطاقة بعد ان كانت تصدر الغاز، بشكل أساسي لاسرائيل. بينما تسبب الصراع المسلح بين القوى والمليشيات الليبية وسعي كل منها للسيطرة على حقول ومنشآت النفط والغاز الى انخفاض الانتاج الليبي وصادرات ليبيا من الغاز الى ايطاليا. يضاف الى ذلك أيضا، توقف هذه الصادرات لاكثر من ثمانية أشهر خلال الثورة الليبية ضد نظام معمر القذافي.⁽¹²⁾

دول شرق البحر المتوسط، اسرائيل، فلسطين، سوريا، لبنان، وجارتهم الاوروبية التركية قبرص، والتي كانت دائما من المستوردين للطاقة، تحولت لتصبح أحد أكبر المصدرين المحتملين للغاز بعد اكتشاف كميات كبيرة من الغاز تصل الى 1000 مليار متر مكعب في حقول لفيثان، شمشون، وافروديت التي تمتلكها اسرائيل وقبرص، مع وجود احتمالات مرتفعة لوجود كميات كبيرة من الغاز في المياه السورية واللبنانية.

ومع التقدم السريع في العمل بحقول الغاز الاسرائيلية تحديدا، فان انتاج تل ابيب من الغاز الطبيعي سيصل الى 13 مليار متر مكعب قبل عام 2020. تقول التقديرات ان السوق المحلي الاسرائيلي سيستهلك نصف هذا الانتاج، بينما ابرمت اسرائيل اتفاقيات مع الاردن ومصر وفلسطين لتصدير الغاز لها مستفيدة من قرب هذه الاسواق جغرافيا، وتوفر البنية التحتية المتمثلة بانابيب الغاز التي انشئت لنقل الغاز المصري الى اسرائيل. ويعد عام 2020، حيث يبدأ الانتاج من حقل لفيثان بالتدفق، ستصبح اسرائيل قادرة على تصدير

¹²⁾ "Libya demonstrations halt gas exports to Italy", Petroleum Argus, 12 Novemeber 2013

18 مليار متر مكعب من الغاز سنويا. الا أن عدم توفر البنية التحتية من انابيب الغاز يبقى عائقا أمام تصدير هذا الانتاج الى اوروبا، حيث ان انشاء خط للغاز من شرق البحر المتوسط الى اوروبا يبدو خيارا صعبا وغير واقعي. المشروع الأكثر واقعية ونجاعة يتمثل بخط أنابيب يصل حقول الغاز الاسرائيلية شرق المتوسط بتركيا. وقد واجه هذا المشروع العديد من الشكوك والتعقيدات بسبب تراجع العلاقات التركية – الاسرائيلية وانقطاعها بعد حادث الاعتداء على السفينة التركية مرمرة عام 2009 من قبل اسرائيل. لكن هذه التعقيدات يبدو انها في طريقها الى الحل، حيث شهد يوم 28 حزيران، 2016 توقيع الطرفين، التركي والاسرائيلي، على اتفاق يعيد تطبيع العلاقات بين البلدين وينهي الخلاف الذي امتد لأكثر من ست سنوات. وكان لافتا أن احد بنود الاتفاق اشار الى بدء المحادثات بين البلدين لمد انبوب غاز من حقول اسرائيل شرقي المتوسط لتركيا.

المشكلة ذاتها تواجهها قبرص، حيث ان أفضل الطرق لنقل انتاجها من الغاز الى اوروبا هي عبر خط انابيب يصلها مع تركيا، كما انها لو قررت انشاء خط للغاز نحو اوروبا فان هذا الخط سيمر عبر المياه التركية، وبالتالي ستواجه قبرص ذات المشكلة مجددا. لذلك فان قبرص واسرائيل يناقشان امكانية بناء مصنع مشترك لاسالة الغاز الطبيعي المستخرج من حقولهم، ويواجه هذا الخيار صعوبات تتعلق بالتكلفة وبتوفر التكنولوجيا، لذلك لا يبدو البلدان في عجلة من أمرهم لانشاء هذا المصنع بانتظار فحص خيارات أخرى قد تكون أكثر جدوى وتضمن ربحية أعلى، والى حين الانتهاء من انشاء حلول استراتيجية طويلة الامد لنقل الغاز الاسرائيلي والقبرصي يبقى خيار استعمال مصانع اسالة الغاز المصرية متاحا.⁽¹³⁾

¹³ "Israel: Gas Boom Targets Turkey", Middle East Economic Survey 57:13, 28 March 2014

رسم(4.3): خيارات نقل الغاز الطبيعي الاسرائيلي والقيصري



المصدر: www.iakal.wordpress.com/2016/03/31/israel-vs-cyprus/

غاز وسط آسيا

مصدر آخر للغاز الطبيعي تطلعت اليه أوروبا مبكرا باهتمام كبير هو دول وسط آسيا، أذربيجان، تركمانستان، أوزبكستان، وكازاخستان (رسم 5.3).

رسم (5.3): خارطة آسيا الوسطى وبحر قزوين



المصدر: www.maps-world.net

هذه الدول تحتوي على مخزون هائل من الغاز الطبيعي، وتحديدًا تركمانستان التي تملك رابع أكبر احتياطي من الغاز الطبيعي بعد روسيا، إيران، وقطر. وقد بدأ تطلع أوروبا لنقل الغاز من وسط آسيا إلى وسط أوروبا

دون المرور بالاراضي الروسية منذ تسعينيات القرن الماضي. وكان مشروع نابوكو أول خطوة عملية لتحقيق هذه الغاية. المشروع الذي اقتبس اسمه من معزوفة موسيقية شهيرة تبلغ قيمته 10.9 مليار دولار، ويهدف لنقل الغاز من تركمانستان عبر بحر قزوين الى أذربيجان ثم جورجيا ثم عبر تركيا إلى أوروبا بطول يبلغ 3300 كيلومتر، وبسعة تكفي لنقل 31 مليار متر مكعب من الغاز سنويا. رسم(6.3)

رسم (6.3): مشروع خط أنابيب الغاز نابوكو



المصدر: الاقتصادية، يوليو 25، 2009، العدد 5766

أعلن عن المشروع في العام 2002 حيث وقعت خمس شركات بروتوكولا للاشتراك في المشروع وهي شركة أو إم في غاز النمساوية، وبوتاش التركية، وإم أو إل المجرية، وترانس غاز الرومانية، وبلغار غاز البلغارية. وفي ديسمبر، 2003 قدمت المفوضية الأوروبية منحة تغطي نحو 50% من تكلفة إجراء دراسة الجدوى التي تشمل تحليلات للسوق ودراسات فنية واقتصادية ومالية. وأشارت نتائج دراسة الجدوى التي صدرت في العام 2004

إلى جدوى المشروع من الناحيتين الفنية والاقتصادية.⁽¹⁴⁾

ومع أن مشروع نابوكو في طاقته القصوى لن يستطيع تزويد السوق الاوروبي بأكثر من 7-10% من حاجته للغاز، لكن روسيا أعلنت رفضها للمشروع، واستثمرت هيمنتها السياسية على هذه الدول، وسيطرتها عسكريا على بحر قزوين لاعاقه المشروع وتعطيل تنفيذه، حيث أن فكرة المشروع تتطلب تزويد تركمانستان، بشكل أساسي، خط الأنابيب بكميات كبيرة من انتاجها من الغاز الطبيعي. فاعتمدت روسيا سياسة العصا والجزرة مع جيرانها في بحر قزوين. حيث استخدمت قوتها العسكرية المسيطرة على بحر قزوين لفرض سياسة الأمر الواقع ومنع تطوير أي حقول جديدة في مياه جيرانها فضلا عن امكانية انشاء البنية التحتية من الانابيب لنقل الغاز، وذلك من خلال اثاره نزاع حول ماهية الوضع القانوني للمسطح المائي لبحر قزوين. فقد أعلنت روسيا أنها تعتبر قزوين بحيرة متجددة بمياه أنهار الفولجا، وليست بحرا كما كان يعتبرها جيرانها. ووفقا للقانون الدولي فان حقوق الملكية في البحيرات تختلف عنها في البحار. فالبحر وفقا للقانون الدولي يتم تقاسم مياهه وثرواته حسب طول شواطئ الدول المحيطة به التي تحدد المياه الاقليمية والاقتصادية الخاصة بكل دولة. بينما في حالة البحيرات فان الوضع القانوني للملكية يختلف حيث يتم تقاسم مياهها وثرواتها بالتساوي بين الدول المحيطة بها. وتأسيسا على ذلك اعتبرت روسيا أنها شريكة في أي غاز يتم استخراجه من بحر قزوين. وعطلت بذلك امكانية تطوير حقول جيرانها على شواطئ بحر قزوين وجمدت تنفيذ مشروع نابوكو الى ان يتم حل الخلاف على حقوق ملكية كل من الدول المحيطة بالبحر، وهو الأمر الذي لم يتم الى الآن.⁽¹⁵⁾

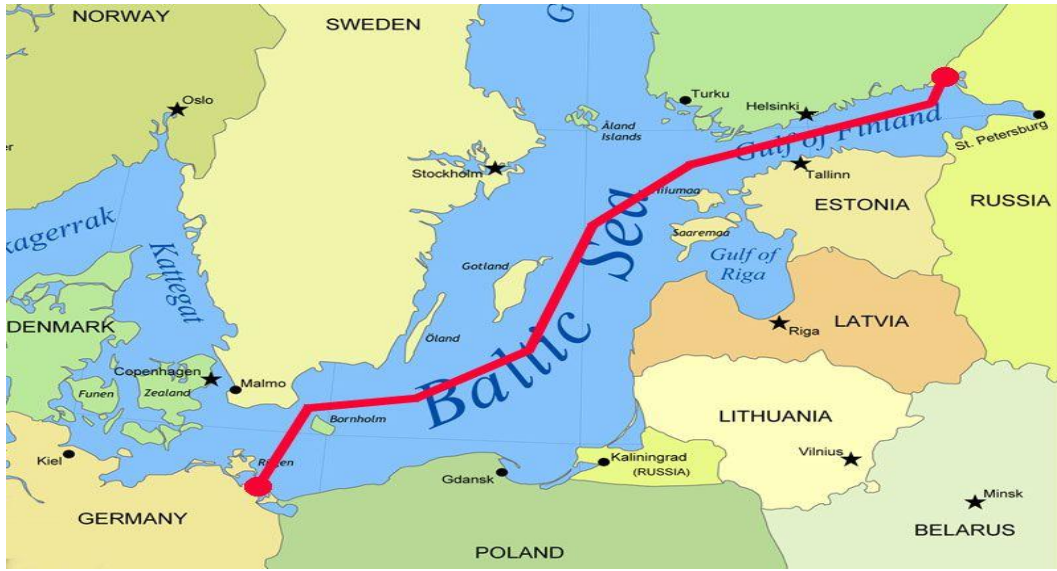
¹⁴) Hafner, Manfred and Tagliapietra, Simone: The Globalization of Natural Gas Markets New Challenges and Opportunities for Europe, European Energy Studies Series, Claeys&Casteels, Deventer, pp. 35-42

¹⁵. المرجع السابق، ص. 82-90

كان الوضع القانوني لبحر قزوين العصا التي أشهرتها روسيا في وجه جيرانها، أما الجزرة فكان العرض الروسي بشراء كامل الغاز المنتج في وسط آسيا وبالتالي احتكار بيعه عن طريقها عبر أنابيبها العابرة القارات. ودخلت بالفعل بعقود شراء طويلة الامد مع تركمانستان التي تنتج حوالي 50-55 مليار متر مكعب سنويا، يستهلك السوق المحلي 13-18 مليار و تشتري روسيا 10 مليار بينما تستورد الصين معظم الكمية المتبقية. واشترت كامل انتاج اوزبكستان في عقود تنتهي عام 2018. كما وقعت اتفاقيات مع أذربيجان تشتري روسيا بموجبها حصة كبيرة من الغاز الأذري، حوالي 1.5 مليار متر مكعب من 16-17 مليار يستهلك السوق الاذري نصفها. لكن أذربيجان أعلنت في الوقت نفسه أنها ستقوم بتزويد نابوكو بالغاز الفائض لديها.

لم تتوقف الاستراتيجية الروسية عند وضع العراقيل أمام تنفيذ المشروع والاستحواذ على جزء كبير من غاز وسط آسيا، بل مضت روسيا التي تمتلك جميع خطوط الغاز العابرة للحدود من خارج القارة الاوروبية، مضت في بناء خطوط غاز اضافية، واستمالت ألمانيا في بناء خط غاز السيل الشمالي (Nord Stream) الضخم الموصل لاوروبا دون المرور باوكرانيا. رسم(7.3)

رسم (7.3): أنبوب غاز السيل الشمالي



المصدر: www.rt.com/business/eu-gazprom-south-stream-881/

وقدمت روسيا مشروعاً بديلاً لمشروع نابوكو هو خط غاز السيل الجنوبي (South Stream) الذي يمر تحت مياه البحر الأسود، وصولاً إلى بلغاريا، ملتقاً على أوكرانيا، بتكاليف تصل 20 مليار دولار تتقاسمها مع

إيطاليا. رسم (8.3)

رسم (8.3): خطي غاز السيل الجنوبي ونابوكو



المصدر: www.news.bbc.co.uk/2/hi/europe/7799396.stm

الاستراتيجية الروسية في التعامل مع المحاولة الأوروبية في خفض اعتمادها على الغاز الروسي، ولو بنسبة بسيطة، من خلال مشروع نابوكو، أثبتت نجاحها من خلال إثارة الشك والغموض حول الجهة أو الجهات القادرة على ضخ الغاز في انبوب نابوكو، الذي اعتمد مخطوطه على غاز تركمانستان بشكل أساسي. لكن هذا النجاح ساهم على ما يبدو بتحريض روسيا على الاندفاع أكثر وأكثر والمبالغة بالتلميح بإمكانية استخدام سلاح الطاقة، بل واستخدامه فعلا عام 2009 بعد اشتعال الخلاف مع أوكرانيا حول أسعار الغاز. وهذا ما دفع الأوروبيين إلى التصميم على تنويع مصادر الطاقة وخفض اعتمادها على الغاز الروسي.

أولى التحركات الأوروبية كانت من صوفيا، حيث أعلن رئيس الوزراء البلغاري بلامن أوريشارسكي في حزيران من عام 2014 وقف تنفيذ مشروع السيل الجنوبي من طرف بلغاريا قائلا أنه تلقى عددا من الاستفسارات من قبل اللجنة الأوروبية. وقد أمر بوقف العمل في المشروع وبعد إجراء الاستشارات المطلوبة مع بروكسل سيتم تحديد مصير المشروع. وهو القرار الذي مثل صدمة لروسيا واعتبره البرلمان الروسي محاولة لابتزاز روسيا.⁽¹⁶⁾ الموقف البلغاري دفع الرئيس بوتين ببراغماتيته المعهودة إلى التوجه نحو صديقه اللدود اردوغان في أنقرة. وخلال زيارته لأنقرة في بداية ديسمبر، 2014 أعلن بوتين قرار إلغاء "السيل الجنوبي"، وأرجع هذا القرار إلى موقف الاتحاد الأوروبي "غير البناء" والظروف التي أحاطت بهذا المشروع، بعد أن رفضت بلغاريا منح الموافقة لمدته عبر أراضيها، ومماثلة الاتحاد الأوروبي وفرض شروط تعجيزية، تم فهمها كضغوط سياسية للتأثير على الموقف الروسي فيما يتعلق بالأزمة شرق أوكرانيا.

في الوقت ذاته، أعلن بوتين حينها عن اتفاق لتوسيع حجم إمدادات الغاز الروسي إلى تركيا عن طريق زيادة

¹⁶⁾ Bulgaria suspends South Stream gas pipeline project, BBC, 19 August 2014
<http://www.bbc.com/news/business-28854089>

ضخ الغاز عبر أنبوب "السييل الأزرق" من 16 إلى 19 مليار متر مكعب سنويا، وبناء أنبوب بطاقة المشروع الملغى نفسه يمر عبر قاع البحر الأسود إلى البر التركي، متجنباً المرور في أراضي دولة ثالثة، ليكون رديفاً لخط أنابيب "السييل الأزرق" العامل منذ عام 2003، علماً أن تركيا تحتل المرتبة الثانية بعد ألمانيا في حجم استيراد الغاز الطبيعي الروسي.⁽¹⁷⁾

وفعلاً في وقت لاحق من نفس الشهر (ديسمبر) وقعت "غازبروم" مذكرة تفاهم مع شركة "بوتاش" التركية لمد خط أنابيب عبر قاع البحر الأسود لنقل الغاز من روسيا إلى تركيا، يتوقع تسميته "السييل التركي" وتقدر استطاعته بنحو 63 مليار متر مكعب سنويا، منها نحو 14 مليار متر مكعب سنويا للاستهلاك التركي، في حين سيتم توريد الكميات الفائضة (نحو 50 مليار متر مكعب سنويا) إلى أوروبا عبر خط بري يمتد عبر الأراضي التركية حتى الحدود اليونانية. (رسم 9.3)

رسم (9.3): خط غاز السيل التركي



المصدر: www.gazpromexport.ru/en/projects/6/

¹⁷ "سيل الغاز الجنوبي يغير مجراه باتجاه تركيا"، روسيا اليوم، 4 يناير 2015
<http://www.arabic.rt.com/news/769882>

الطموح الروسي باعادة الحياة لمشروع السيل الجنوبي بواسطة "السييل التركي". ذهبت أدرج الرياح بسبب الخلاف بين روسيا وأنقرة حول سوريا، الخلاف الذي زادت شدته بعد اعلان روسيا عن تدخلها العسكري المباشر في سوريا، ليصل الخلاف ذروته في 24 نوفمبر، 2015 عندما قامت مقاتلات تركية باسقاط مقاتلة روسية بدعوى اختراقها المجال الجوي لتركيا، ليفجر الحادث ردود فعل غاضبة في روسيا معلنة مقاطعة تركيا اقتصاديا كنوع من العقاب على اسقاطها المقاتلة الروسية.

المقاطعة الروسية لتركيا لم تطلق رصاصة الرحمة على مشروع "السييل الجنوبي" فقط، بل أفقدت روسيا ثاني أكبر مشتر لغازها بعد ألمانيا، وحققت مشاريع الغاز المنافسة بكميات كبيرة من النشاط، حيث أن أوروبا لم تتخل عن مشروع نابوكو تماما، لكنها أيضا لم تتمكن بالمخطط الاولي للمشروع الذي أصبح غير واقعا بفعل استراتيجية روسيا بتعطيله. فقد قدمت اكتشافات الغاز الجديدة في أذربيجان فرصة لحياء فكرة نقل غاز وسط آسيا الى أوروبا، حيث يتوقع أن يبدأ حقل شاه دينيز 2 في الانتاج قبل عام 2019، وأن يوفر 16 مليار متر مكعب اضافية للتصدير. وبناء عليه تم الاتفاق والبدء فعلا ببناء خط غاز عبر الاناضول (TANAP) الذي سيحمل 16 مليار متر مكعب سنويا الى تركيا، اضافة الى خط غاز عبر الادرياتيكي (TAP) الذي سيحمل 10 مليار متر مكعب سنويا الى ايطاليا.

رسم (10.3): خطي غاز عبر الاناضول (TAP) والادرياتيكي (TANAP)



المصدر : www.flatenurope.acrelormittal.com/flatnews/flatarchivenews/2080/august2014/energyeurope

وعقب المقاطعة الروسية لتركيا، طار رئيس الوزراء التركي، داود أوغلو، الى أذربيجان ليعلن من العاصمة باكو أن بلاده توصلت لاتفاق مع أذربيجان لتسريع العمل بمشروع تاناب (خط غاز عبر الادرياتيكي لنقل الغاز الأذري إلى أوروبا عبر تركيا)، لإنجاز المشروع قبل موعده المحدد في عام 2018. وأشار أوغلو إلى أنهم سيعملون ليل نهار لإنجاز المشروع بأسرع وقت. ولفت إلى أن بلاده "ستقوم بكل ما يلزم لإنجاز مشروع تاناب داخل الحدود التركية، وستقوم أذربيجان كذلك بالشيء ذاته". وأعلن داود أوغلو أن "نمو أذربيجان هو نمو لتركيا، ونمو تركيا هو نمو أذربيجان". لافتا إلى أن البلدين يمتلكان الإرادة لرفع حجم التبادل التجاري بينهما من 5 مليار دولار إلى 15 مليار دولار. من جانبه أوضح الرئيس الأذري إلهام علييف، أن أعمال إنجاز مشروع تاناب جارية على قدم وساق، معربا عن رغبتهم في الانتهاء من المشروع قبل موعده المحدد، مضيفا أن "أذربيجان دولة غنية بحقول الغاز الطبيعي، ويبلغ احتياطي الغاز فيها 2,6 تريليون متر مكعب، وتركيا تقع في موقع الطريق الأول لتصدير هذا الغاز عبر أراضيها إلى أوروبا".⁽¹⁸⁾ ملحق (1.3).

¹⁸ "تركيا وأذربيجان تتفقان على تسريع العمل بمشروع تاناب للغاز الطبيعي لانجازه قبل موعده المحدد"، ترك برس، 3 ديسمبر 2015 <http://www.turkpress.co/node/15927>

الطموحات الأوروبية بتتويج مصادر الطاقة تلقت مزيدا من الأمل مع التوصل الى اتفاق حول المشروع النووي الإيراني تنتهي بموجبه سنين من العقوبات الاقتصادية والمقاطعة الدولية لإيران. فايران تمتلك ثاني أكبر مخزون من الغاز الطبيعي في العالم بعد روسيا، لكن المقاطعة والعقوبات الاقتصادية حرمتها من الوصول الى التكنولوجيا اللازمة لتطوير حقولها والاستفادة من هذا المخزون الهائل. ومع رفع العقوبات الاقتصادية عقب الاتفاق النووي الإيراني، سارعت الشركات الأوروبية للبحث عن الفرص الاستثمارية في قطاع الطاقة الإيراني، وعادت الدماء تجري في عروق مشروع خط أنابيب الأدرياتيكي (TAP) الذي كان مقترحا عام 2008 لا يصل 5.5 مليار متر مكعب من الغاز الإيراني الى سويسرا. لكن المشروع تم الغاؤه في حينه بسبب الخلاف الإيراني مع المجتمع الدولي والعقوبات الاقتصادية التي كانت مفروضة عليها. لكن التطورات الجيوسياسية التي حملت الأمل لاهياء المشروع من جهة، وضعت العراقيل أمام تنفيذه من جهة أخرى. فخط انابيب ايران - العراق - سوريا - البحر المتوسط، المقترح لتنفيذ المشروع، والذي وقعت ايران مع النظام السوري اتفاقية لانشائه عام 2012⁽¹⁹⁾، أصبح غير واقعي مع استمرار النزاع في سوريا.

رسم(11.3)

¹⁹⁾ Charis Chang, Is the Fight over a Gas Pipeline Fueling the World's Bloodiest Conflict, news.com.ae, 2 December 2015
<http://www.news.com.au/world/middle-east/>

رسم (11.3): مقترح خط الغاز الايراني المار عبر العراق وسوريا



المصدر : www.news.co.au

كما أن خط أرمينيا - جورجيا - أوكرانيا أيضا لم يعد واقعا بعد ضم روسيا لشبه جزيرة القرم. ليبقى الخيار الوحيد الذي يبدو قابلا للتنفيذ هو خط أنابيب يمر من تركيا ثم يتوجه الى أوروبا، وهذا ربما ما يفسر الحفاظ على بعض الدفء في العلاقات الايرانية - التركية بالرغم من خلافهما الشديد حول الملفات الاقليمية،

وتحديدا الملف السوري. رسم (12.3)

رسم (12.3): خط الغاز الايراني التركي المقترح



المصدر : www.ite-pipeline.com

لكن المضي في هذا الخيار، فضلا عن المضي بقرار تصدير الغاز لاوروبا يحمل كثيرا من الشكوك اذ انه ينطوي على استفزاز الحليف الروسي المهم ل طهران، ويحمل من ناحية أخرى مزيدا من التقارب الايراني مع الغرب. لكن من غير الواضح بعد أي الخيارين أهم ل طهران، استفزاز روسيا والتقارب مع الغرب، ام التحالف مع روسيا وعلاقة باردة بالغرب. أم أن ايران ربما تتمكن من تطوير خيار ثالث تتمكن فيه من تحقيق مصالحها الاقتصادية بزيادة انتاجها وصادراتها من الغاز دون ان تستفز حليفها الروسي.

وبعيدا عن الاعتبارات الجيوسياسية، فان ايران تبدو عاجزة على المدى القصير عن توفير كميات من الغاز الطبيعي تزيد عن حاجة سوقها المحلي، فوصول ايران الى التكنولوجيا اللازمة لتطوير قطاع النفط والغاز سيمكنها من الوصول الى انتاج يقدر بحوالي 210-230 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي سنويا في عام 2019، وهي الكمية اللازمة لسد الطلب المحلي المتزايد، والكميات القليلة الفائضة بالكاد ستكفي طهران بالايفاء بالتزاماتها التعاقدية مع جيرانها في العراق وتركيا وعمان. لكن على المدى المتوسط، في عام 2030، ستكون ايران قادرة على انتاج 350 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي سنويا، حينها ستكون ايران عمليا تمتلك فائضا من الغاز يمكن تصديره الى اوروبا، بشرط ان تكون البنية التحتية من الانابيب وخطوط الغاز الواصلة بين ايران واوروبا جاهزة في حينه، وهو ما يبدو أن الطرفين الايراني والاوروبي متبهران له، حيث وقع كل من ايران والعراق، في 13 نيسان، 2016 اتفاقية بشأن بناء خط أنابيب لنقل الغاز الطبيعي الايراني عبر الأراضي العراقية الى أوروبا، بتكلفة 2.3 مليار دولار أمريكي، وأفادت قناة "برس تي في" الايرانية أن شركتين ايرانيتين للطاقة، وقعتا اتفاقا مع العراق لبناء خط أنابيب لنقل الغاز الطبيعي من حقل بارس الجنوبي عبر الأراضي العراقية والتركية، يعمل على تزويد أوروبا بالغاز الطبيعي الايراني.⁽²⁰⁾

⁽²⁰⁾ "خط لنقل الغاز الايراني عبر العراق الى اوروبا"، روسيا اليوم، 13 ابريل 2016
<https://arabic.rt.com/news/818948>

2.3 الغاز الطبيعي المسال

استيراد الغاز الطبيعي المسال كان ينظر اليه على انه خيار الاتحاد الاوروبي الجاهز لتنويع مصادر الغاز، فمحطات تحويل الغاز المسال الى غاز طبيعي (Re-gasification) الاوروبية. قادرة على انتاج 200 مليار متر مكعب من الغاز سنويا. الا أن انتاج هذه المحطات لا يتجاوز ربع طاقتها الانتاجية القصوى.⁽²¹⁾

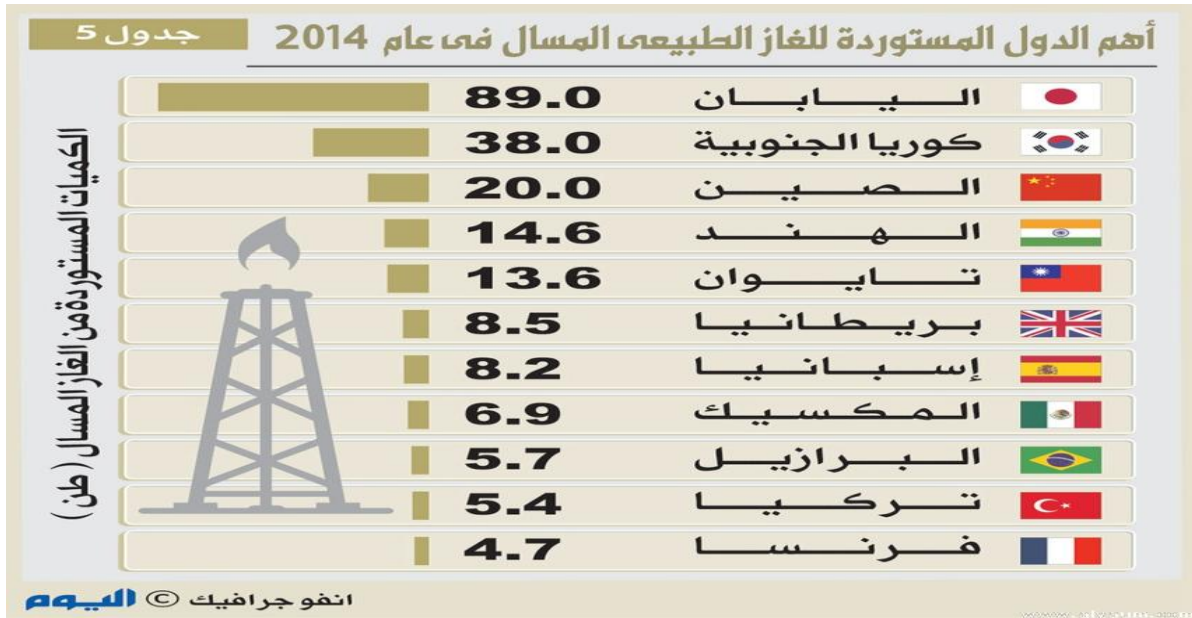
المشكلة التي تحد من فرص استبدال الغاز الروسي الطبيعي بالغاز المسال مرتبطة بعدة عوامل. لعل أهمها السعر، حيث يوجد فارق كبير بين سعر الغاز الطبيعي المسال الذي يصل الى نحو 14 دولار لكل مليون وحدة حرارية، مقابل 5-8 دولار للمليون وحدة حرارية في حالة الغاز الروسي الطبيعي.⁽²²⁾ الا أن قضية السعر مرتبطة بالتغيرات في العرض والطلب. فهي عملية ديناميكية دائمة التبدل والتغير وبصعب التكهّن بها على وجه الدقة. لكن المحددات الرئيسية لسعر الغاز المسال مرتبط باستمرار النمو الاقتصادي في آسيا بشكل خاص، حيث تستورد آسيا حوالي 75% من انتاج الغاز المسال العالمي. لذا فان استمرار النمو الاقتصادي الاسيوي يعني زيادة الطلب على الغاز المسال، في حين ان تراجع نسب النمو الاقتصادي لآسيا، يعني انخفاض الطلب واحتمالية تراجع السعر، هذا في جانب الطلب. رسم (13.3)

²¹⁾ BP, Statistical Review of World Energy 2014, June 2014, p. 22-30

²²⁾ تاتيانا زيكوفا، "لماذا لا يمكن للاتحاد الاوروبي التخلي عن الغاز الروسي؟"، روسيا وراء العناوين، 15 ابريل 2014

<https://arab.rbth.com/economics/2014/04/15/26703.html>

رسم (13.3): أهم الدول المستوردة للغاز الطبيعي المسال



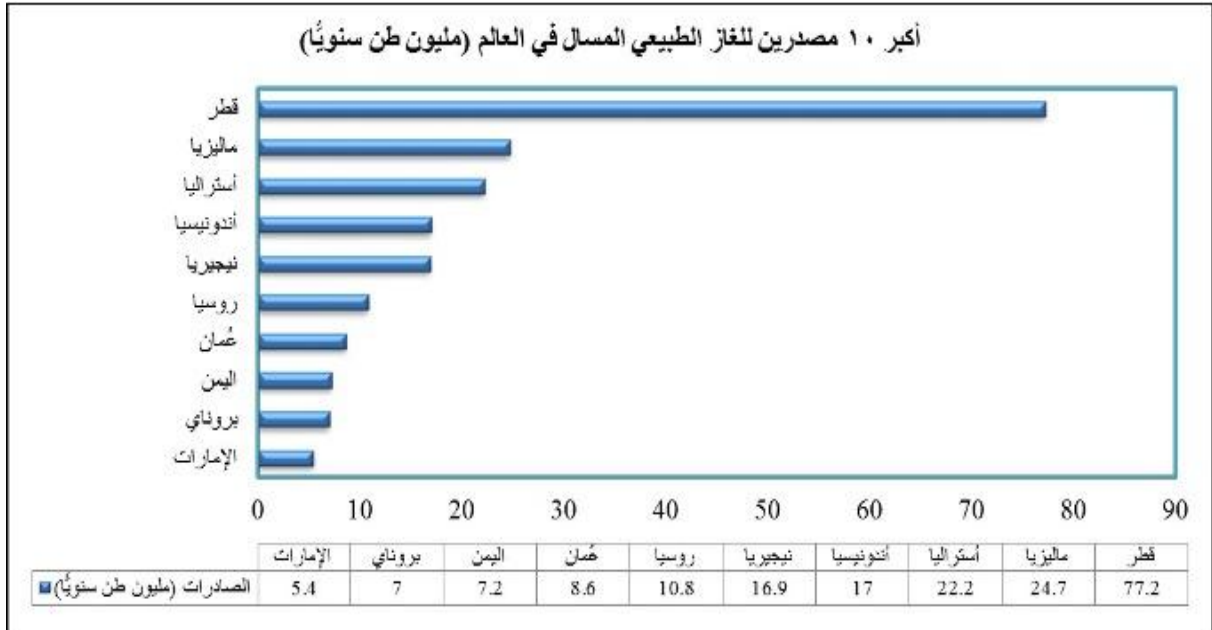
المصدر: <http://alphabetargaam.com/article/detail/100428>

وعلى جانب العرض، تجاوزت القدرة الإنتاجية العالمية في 17 دولة 290 مليون طن سنوياً⁽²³⁾، يتركز نحو الثلثين منها في 5 دول فقط، وهي على الترتيب: قطر، ماليزيا، أستراليا، إندونيسيا، ونيجيريا في نهاية عام 2015.⁽²⁴⁾ وتبقى منطقة الشرق الأوسط أكبر منطقة مصدرة للغاز الطبيعي المسال بحصة سوقية بلغت 41.5% (98.3 مليون طن)، تليها آسيا والمحيط الهادئ بنسبة 37.1% (87.9 مليون طن). وترتعت قطر على عرش أسواق الغاز الطبيعي المسال حيث وصلت صادراتها العالمية من الغاز الطبيعي المسال إلى (33%)، تليها ماليزيا (11%) وأستراليا (10%).⁽²⁵⁾

⁽²³⁾ مليون طن من الغاز الطبيعي المسال = مليار متر مكعب من الغاز.

⁽²⁴⁾ p. 8 World LNG Report, 2016 Edition
<https://www.igu.org/>

⁽²⁵⁾ المرجع السابق



المصدر: <http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2015/01/201511131712553734.html>

لكن مستقبل أسواق الغاز الطبيعي المسال تشير الى احتمال توفر فائض كبير من الانتاج حتى عام 2020. فبعدما صعد الطلب بشكل كبير وامتسارح عام 2011 اثر توقف عشرات المفاعلات النووية اليابانية عن العمل، انقلب الوضع في نهاية عام 2013 حيث بدأ الحديث عن تخمة قادمة في الاسواق. وعلى النقيض من السابق، تمتلك الدول المنتجة للغاز الطبيعي المسال قدرة انتاجية أكثر مما يحتاجه العالم بحوالي 60-70 مليون طن سنويا.⁽²⁶⁾

هذا الفائض في الانتاج مرشح للزيادة كثيرا مع الوصول لعام 2019، بسبب وجود مشاريع قيد الانشاء تصل طاقتها الانتاجية الى 117 مليون طن سنويا، أهمها يجري تنفيذه في استراليا التي تمتلك ثلاثة مرافق لتصدير الغاز الطبيعي المسال، بسعة إجمالية تتجاوز 24 مليون طن في السنة.⁽²⁷⁾ وتصدر أستراليا الغاز الطبيعي

⁽²⁶⁾ المرجع السابق

⁽²⁷⁾ EIA, (August 28, 2014), Australia Analysis Brief Overview <https://www.eia.gov/countries/cab.cfm>

بشكل حصري تقريباً إلى الأسواق الآسيوية. فقد أشترت اليابان نحو 80% من صادرات أستراليا في عام 2013 ، معظمها من خلال عقود طويلة الأجل. في حين أن المستهلكين الرئيسيين الآخرين هم: الصين (16%) وكوريا الجنوبية (3%)، وتايوان. ورغم أن أستراليا تعتبر حالياً ثالث أكبر دولة في إنتاج الغاز الطبيعي المسال، إلا أنه من المتوقع أن تسود الأسواق خلال السنوات المقبلة، لتزيح قطر عن المرتبة الأولى وتترفع على "العرش" وتصبح أكبر دولة منتجة للغاز المسال بحلول عام 2017 . وفي الوقت الراهن هناك سبعة مشاريع قيد الإنشاء بسعة إجمالية قدرها 61.8 مليون طن سنوياً (53%) من القدرة الإنتاجية العالمية قيد الإنشاء. وطبقاً للأرقام التي أوردتها وكالة الطاقة الدولية، فإن 90% من مشاريع الغاز الطبيعي المسال القائمة في أستراليا تم التعاقد على شراء إنتاجها. (28)

خارج أستراليا، هناك ستة مشاريع أخرى يتم تنفيذها في الولايات المتحدة الأمريكية، وهذه المشاريع الستة التي تمت الموافقة عليها من قبل وزارة الطاقة الأميركية في منتصف عام 2014 يمكنها في حال الانتهاء من تشييدها إضافة ما يقرب من 66 مليون طن سنوياً إلى أسواق الغاز العالمية في بداية العقد المقبل، أو نحو 20% من إجمالي تجارة الغاز الطبيعي المسال العالمية المتوقعة. (29) ورغم أن الولايات المتحدة الأميركية وحدها قد لا تؤثر بشكل جذري، مثلما هي الحال مع أستراليا، على أسواق الغاز الطبيعي المسال على الأقل في المديين القصير والمتوسط، لكن هذه المشاريع من شأنها أن تضيف إنتاجاً جديداً يعزز مرونة الأسواق ويزيد من خيارات المشترين.

²⁸⁾ Standoff threatens to stymie LNG development in Australia, Financial Times, 23 November 2014 <https://www.ft.com/cms/>

²⁹⁾ World LNG Report, 2016 Edition, p. 23

وان كان توقع اسعار الغاز الطبيعي المسال معقد وصعب بدرجة كبيرة، الا أنه يمكن القول أن انجاز مشاريع الغاز الطبيعي المسال الامريكية، اذا ما روفق باستمرار الاتجاه الهابط للطلب العالمي على الغاز المسال، سيخلق فائضا في الانتاج. وسيسبب ضغطا على سعر الغاز الطبيعي المسال دافعا اياه للتراجع، وبالتالي تقليص الفجوة السعرية بين الغاز المسال والغاز الطبيعي.

السعر هو المحدد الاول لقدرة اوروبا على تنويع مصادر الطاقة باللجوء لاستيراد الغاز الطبيعي المسال. لكن تراجع سعر الغاز المسال وحده غير كاف، حيث يبقى السؤال، هل ستجد أوروبا فائضا من الغاز الطبيعي المسال لتستورده؟ وهذا هو المحدد الثاني، وهو مرتبط من جديد بانتاج الغاز المسال الامريكي، لان معظم الانتاج العالمي مرتبط بعقود بيع طويلة الاجل، وحتى الزيادة المتوقعة في الانتاج الاسترالي تم التعاقد على شراء معظمها. لكن تراجع الطلب الاسيوي قد يوفر كميات فائضة يمكن توجيهها نحو اوروبا. لذا فان السيناريو السابق يعود مجددا ليكون السيناريو المفضل اوروبيا، تراجع الطلب الاسيوي، بما يتيح فائض في الانتاج يدفع الاسعار للهبوط ويوفر كميات من الغاز الطبيعي المسال جاهزة للتصدير نحو اوروبا، مضافا له انجاز مشاريع الغاز المسال الامريكية التي سوف تزيد من الفائض في العرض وتشد من الضغط على الاسعار، وتوفر في الوقت ذاته كميات اضافية يمكن تصديرها لاوروبا.

المشكلة الاخيرة التي تواجه اوروبا في سعيها للحد من الاعتماد على روسيا كمصدر رئيسي للغاز، تكمن في البنية التحتية من الانابيب ومحطات تحويل الغاز المسال الى غاز طبيعي، فعلى الرغم من امتلاك اوروبا لشبكة واسعة من خطوط انابيب الغاز، ومحطات للغاز المسال على أعلى المستويات، الا ان هذه البنية التحتية الضخمة تعاني من سوء التوزيع. فنقاط دخول الغاز للانابيب تتركز على الحدود الشمالية والشرقية لاوروبا، ودول البلطيق، ووسط وجنوب شرق اوروبا، التي تعتمد على الغاز الروسي بشكل كامل

تقريباً، لا تمتلك نقاط وصل بشبكة الانابيب في غربي القارة، كما انها لا تمتلك اي محطة للغاز المسال تقريباً، وهذا ما أعاق محاولات خفض اعتماد هذه الدول على الغاز الروسي. فانابيب الغاز فيها تم بناؤها بالاساس لنقل الغاز "السوفييتي"، لذا فان الغاز يسير في هذه الانابيب باتجاه الغرب فقط. لذا لا يمكن استخدامها لنقل الغاز من محطات الغاز المسال باتجاه دول البلطيق او دول جنوب شرق اوروبا، و لعدم امتلاك هذه الدول ايضاً لاي محطة للغاز المسال، فضلاً عن ارتفاع سعره، ظلت هذه الدول رهينة الاعتماد الكلي على الغاز الروسي.

لكن مع بلوغ المخاوف الاوروبية من الهيمنة الروسية على أسواق الغاز الاوروبية ذروتها عام 2009، بعد وقف روسيا لامدادات الغاز بسبب خلافها حول الاسعار مع اوكرانيا، قدم الاتحاد الاوروبي اولى مساهماته المالية لتطوير البنية التحتية في وسط وجنوب شرق اوروبا، اضافة لدول البلطيق. في عام 2009 انشأ الاتحاد الاوروبي برنامج اصلاح قطاع الطاقة الاوروبي (European Energy Programme for Recovery).⁽³⁰⁾ وضمن هذا البرنامج تم استثمار 3.8 مليار يورو في مشاريع طاقة مختلفة، منها 1.36 مليار يورو خصصت لتطوير البنية التحتية الخاصة بالغاز.⁽³¹⁾ هذه المساهمة انجزت بناء العديد من نقاط التقاطع بين شبكة الانابيب في غرب القارة وانابيب وسط وجنوب شرق اوروبا، كما نفذت مشاريع لاعادة تأهيل شبكات الانابيب لتسمح بتدفق الغاز بداخلها في الاتجاهين، شرقاً وغرباً، في كل من النمسا، بولندا، لاتفيا، ليثوانيا، التشيك، سلوفاكيا، ورومانيا.⁽³²⁾ كما ساهم المشروع في بناء محطة للغاز المسال في بولندا ومحطة عائمة للغاز المسال في ليثوانيا. كما أقر الاتحاد الاوروبي في العام نفسه تشريعات جديدة لضمان

³⁰⁾ Reducing European Dependence on Russian Gas, The Oxford Institute for Energy Studies, University of Oxford, 2014, p.35

³¹⁾ .eu/energy/eepr/projects/

³²⁾ المرجع السابق.

امدادات الغاز (Security Regulation)، وأقر اجراءات حول المباديء العامة لتطوير البنية التحتية لقطاع الطاقة الاوروبي (Infrastructure Regulation)، وتم تخصيص موازنة بقيمة 9.1 مليار يورو لتنفيذ المشاريع التي تنطبق عليها هذه المباديء العامة في الفترة بين 2014-2020.

هذه المبادرات الاوروبية، والمشاريع التي تم تنفيذها آتت أكلها، وأعطت مؤشرا واضحا على تصميم الاتحاد الاوروبي على تنويع مصادر الطاقة وتحقيق امانه في مجال الطاقة، بحيث لا تكون اوروبا هشة أمام قرارات مزود رئيسي للغاز ونوابه باستعمال الغاز كسلاح لانجاز أهداف ومصالح سياسية. نجاح الاستراتيجية الاوروبية ظهر جليا في ليتوانيا، التي كانت تستورد كل احتياجها من الغاز الطبيعي من روسيا، وكانت ترتبط بعقود طويلة الاجل لشراء الغاز الروسي، هذه العقود انتهت في عام 2016. وقبل الوصول الى هذا الموعد كانت محطة كلايبدا العائمة للغاز المسال في ليتوانيا قد انشئت، بقدرة انتاجية تصل الى 4 مليار متر مكعب، وهو ما يكفي لسد احتياج البلاد من الغاز الطبيعي الذي يقدر بنحو 2.5 مليار متر مكعب. وبالفعل وقعت ليتوانيا عقود تمتد لخمسة أعوام لشراء حوالي نصف مليار متر مكعب من الغاز النرويجي المسال، كما وقعت عقودا مع كل من أمريكا وقطر للهدف لذاته، وفي عام 2016 أصبحت النرويج المزود الرئيسي للغاز في ليتوانيا متفوقة على روسيا التي كانت تحتكر السوق الليتواني بنسبة 100%.⁽³³⁾ ومع أن ليتوانيا تعتبر سوقا صغيرا، ولا تمثل سوى 1% فقط من حجم صادرات الغاز الروسي لاوروبا، الا أن تجربتها تحمل كثيرا من المعاني والمؤشرات، حيث يمكن الاستفادة من فائض الانتاج في كلايبدا اللاتفية لتزويد الجارتين لاتفيا واستونيا بالغاز والمساهمة في خفض اعتمادهما الكامل على الغاز الروسي، علما أن هذه الدول بالتعاون مع الاتحاد الاوروبي تسعى لبناء محطات للغاز الطبيعي المسال، حيث تبني لاتفيا محطة بالقرب

⁽³³⁾ "ليتوانيا تناضل للاستقلال في مجال الطاقة"، يورونيوز، 22 أيار 2015.

من العاصمة ريجا بقدرة انتاجية تصل نحو 5 مليار متر مكعب. وتقوم استونيا ببناء محطتين بطاقة اجمالية تبلغ 6.5 مليار متر مكعب. كما تعمل فنلندا على بناء محطة بالقرب من العاصمة هيلسينكي بطاقة تبلغ 8 مليار متر مكعب. وهذا يعني أن هذه الدول ستصبح جاهزة لتكرار تجربة ليتوانيا مع انتهاء عقود الشراء طويلة الامد الموقعة مع روسيا قبل عام 2018. وتكون اوروبا بذلك قد نجحت في تحرير دول البلطيق من الهيمنة الروسية الكاملة على وارداتها من الغاز الطبيعي.

رغم المبادرات والمشاريع والعزم الاوروبي على تحرير سوق الغاز الطبيعي وتنويع مصادره، الا أن اوروبا قد لا تتمكن من تخفيض واردات الغاز الروسي بشكل دراماتيكي قبل عام 2020، بسبب طبيعة العقود طويلة الامد التي ترتبط بها الدول التي تعتمد بشكل كبير على الغاز الروسي، وبسبب الصعوبات المرتبطة بتوفر البنية التحتية اللازمة لاستيراد الغاز من أماكن جديدة. بعد عام 2020 ومع الانتهاء من مشاريع هامة ككابوكو، وانايبب بحر الادرياتكي، واحتمالية توفر طرق لتصدير غاز شرق البحر المتوسط لاروبا، اضافة الى الفائض في الانتاج الامريكي من الغاز الطبيعي المسال، ستمكن أوروبا من خفض اعتمادها على الغاز الروسي بشكل كبير، لكنها لن تتخلص منه بشكل كامل وستظل روسيا المصدر الاكبر للغاز الطبيعي لاروبا رغم احتمالية عودة هذه الصادرات الى مستوياتها في بداية تسعينيات القرن الماضي. السيناريو الاسوأ لروسيا يتمثل بدخول ايران او تركمانستان، او كلاهما معا للسوق الاوروبي، مع زيادة سعة انايبب نابوكو، وهو سيناريو يعني خسارة روسيا لمزيد من حصتها في السوق الاوروبي، ولن يكون تحقيقه سهلا بالنظر للمعارضة الروسية العنيفة لمثل هذه التطورات. كما أن التصدي لهذه الاحتمالات من قبل روسيا لن يكون سهلا خصوصا في التعامل مع ايران التي يبدو صد محاولاتها لتصدير غازها لاروبا اصعب بكثير من التعامل مع تركمانستان المستسلمة للهيمنة الروسية الى حد كبير.

بعيدا عن هذا السيناريو، فإن احتماليات تمكن أوروبا من خفض وارداتها من الغاز الروسي، مع بقاء روسيا مصدرا أكبر للغاز، وما يحمله ذلك من ضرورة للتعاون، يبدو السيناريو الأقرب للتحقق على المدى المتوسط. ويبدو أن روسيا قد أيقنت بحتمية خسارتها لجزء من حصتها في سوق الغاز الأوروبي، وبدأت بالبحث عن أسواق بديلة، كالصين، وشرعت بالفعل بتجهيز البنية التحتية اللازمة للوصول إلى السوق الصيني، من خلال خط غاز قوة سيبيريا الذي بدأ العمل به في حزيران، 2015 لينقل حوالي 40 مليار متر مكعب من الغاز الروسي إلى الصين لمدة ثلاثين عاما.⁽³⁴⁾

ملحق (2.3).

³⁴ "الصين تطلق عملية بناء خط غاز قوة سيبيريا على أراضيها"، روسيا اليوم، 29 حزيران 2015

الفصل الرابع

الأزمة الاوكرانية

1.4 الخلفيات والدوافع والمآلات

حدد الاتحاد الاوروبي الشروط المطلوبة لقبول طلبات العضوية المقدمة اليه من مختلف الدول فيما يعرف بمعايير كوبنهاجن "Copenhagen Criteria"، ووفقا لهذه المعايير يجب على الدول الراغبة بالانضمام للاتحاد الاوروبي أن تتمتع بمؤسسات مستقرة بما يضمن نظام حكم ديمقراطي، سيادة القانون، احترام حقوق الانسان، وحماية الاقليات. كما يجب أن تتمتع هذه الدول باقتصاد سوق فعال، اضافة الى القدرة على التعااطي مع الضغوط التنافسية وقوى السوق داخل الاتحاد.⁽³⁵⁾

³⁵⁾ Heather Grabbe, The Implications of EU Enlargement, Center for European Reform, London, 2003, p.1

مع مجيء الديمقراطية لاوروبا الشرقية اختارت دول عدة السعي للانضمام الى الاتحاد الاوروبي، وفي عام 1997 تم قبول انضمام ست دول هي: قبرص، التشيك، استونيا، هنغاريا، بولندا، وسلوفينيا.⁽³⁶⁾ ثم في عام 2004، قبل الاتحاد الاوروبي انضمام لاتفيا، ليتوانيا، مالطا، وسلوفاكيا. وأخيرا في عام 2007 قبل انضمام رومانيا وبلغاريا، وتلتها كرواتيا في عام 2013.⁽³⁷⁾

انضمام هذه المجموعة من الدول للاتحاد الاوروبي جاء نتيجة لعدة أسباب، واستجابة لعدد من العوامل والدوافع. فمن الناحية السياسية كان الانضمام استجابة لضغوط أمريكية مورست على الاتحاد الاوروبي، رغبة من واشنطن بتعويض الدول التي انضمت أولا للاتحاد الاوروبي عن رفض انضمامها للنااتو، حيث دفع تخوف دول الكتلة الشرقية من الهيمنة الروسية، الى طلب الانضمام للنااتو. وقد قوبل هذا الطلب بالرفض تجنباً لاثارة الغضب الروسي في تلك المرحلة. فسعت أمريكا الى تعويض هذه الدول عن عضوية النااتو من خلال الضغط لمنحها العضوية في الاتحاد الاوروبي.

بالنسبة للاوروبيين فان هذا التوسع منح أوروبا مكسبا استراتيجيا يتمثل بمنطقة عازلة (Buffer Zone) تفصلها عن جارتها الروسي المتمسم بالعداء لها. كما زاد هذا التوسع من قدرة أوروبا على التأثير على هذه الدول التي بات التزامها بالديمقراطية شرطا لاحتفاظها بعضوية الاتحاد الاوروبي، وللعودة الى العهود السابقة، فان على هذه الدول المنضمة حديثا أن تدفع ثمن خسارة هذه العضوية وما تعنيه من خسارة المنح التطويرية (Development Aid)، والاستثمارات الخارجية المباشرة القادمة من قلب القارة وغربها، وكافة الفرص والفوائد الاقتصادية المتاحة من التكامل السياسي والاقتصادي والمالي مع السوق الاوروبي القوي.

³⁶⁾ المرجع السابق

³⁷⁾ <http://www.europa.eu>

استراتيجيا أيضا، فان توسع الاتحاد الاوروبي شرقا حماه من موجات من الهجرة غير الشرعية، وما تحمله من أعباء أمنية واجتماعية واقتصادية. كما أنه من الناحية الاقتصادية وفر للدول الشرقية فرص عمل وتوظيف هائلة، ووفر للغرب فرص الاستفادة من الايدي العاملة المتعلمة ذات الكفاءة العالية، رخيصة التكلفة، المتواجدة في شرق القارة. اضافة الى كون التوسع اضاف 110 مليون مواطن جديد⁽³⁸⁾، ووفر بذلك سوقا جديدا للمنتجات الاوروبية وفرص اقتصادية كبيرة.

بالنسبة لروسيا، وبالرغم من انتهاء الحرب الباردة، فانها استمرت بالنظر لحلف الناتو كأداة أمريكية معادية لروسيا. وأثارت احتمالات توسع الناتو شرقا مخاوف وقلق روسيا، ودفع القيادة الروسية الى السعي لاقامة منطقة أمنية محايدة (Neutral Security Zone)، حيث وجه الرئيس الروسي عام 1993، بوريس يلتسين، رسالة الى القادة الغربيين أشار فيها الى ضرورة أن تكون علاقة الناتو بروسيا أقوى من علاقته مع دول أوروبا الشرقية. واقترح أن توفر روسيا بالشراكة مع الناتو ضمانات أمنية لحماية مركز القارة الاوروبية وشرقها بدلا من توسيع الناتو.⁽³⁹⁾ كما أورد مجلس التأثير الروسي في تقريره حول السياسة الخارجية والدفاعية، المنطقة الأمنية المحايدة كأحد أهم الفوائد التي تحققت لروسيا من انتهاء الحرب الباردة. ومع مضي الناتو قدما في خطته التوسعية، قاومت روسيا بشدة نشر أي معدات عسكرية على أراضي الأعضاء

³⁸⁾ نفس المرجع السابق

³⁹⁾ See Dmitri Trenin, "Russia, the EU, and the Common Neighborhood", Center for European Reform, 2005, p.8

http://www.cer.org.uk/sites/default/files/publications/attachments/pdf/2011/essay_russia_trenin_sept05-2151.pdf

الجدد، كما رفضت بشكل قاطع أي عمليات أو تدريبات عسكرية في الدول المجاورة لها، وبشكل خاص، أوكرانيا ودول البلطيق.

ومع هذا التخوف والقلق الروسي من الناتو ورغباته بالتوسع، كانت روسيا خلال تسعينيات القرن الماضي تنتظر الى الاتحاد الاوروبي كمؤسسة تقدم المنح المالية والمساعدات الفنية، دون أن يكون لها وزن استراتيجي حقيقي. كما أن روسيا كانت ترى في الاتحاد الاوروبي أداة لفك ارتباط أوروبا بأمريكا، وهو هدف استراتيجي سعت روسيا لتحقيقه دائما. لذلك تعاملت روسيا بليوننة ونوع من التقبل لانضمام الدول الشرقية للاتحاد الاوروبي. صيحة التحذير الاولى تلقتها روسيا من بلغاريا عام 2001، عندما فرضت بلغاريا على المواطنين الروس الحصول على تأشيرة (VISA) للدخول الى أراضيها، الأمر الذي أصاب روسيا بالصدمة، ونهبها الى فقدان التأثير على الدول التي شكلت عمق روسيا الاستراتيجي تاريخيا، اضافة الى عزلها وخسارتها لمجموعة من أهم أسواقها وشركائها التجاريين.

أدركت روسيا أن التوسع الأوروبي امتلك القدرة على اعادة تشكيل البيئة الاقتصادية والسياسية في الدول التي مثلت المجال الحيوي ومناطق نفوذ وتأثير روسيا (الاتحاد السوفييتي السابق). ومع أن السياسة الروسية في العقدين الماضيين اتسمت بالعداء لخطط توسع الناتو والاتحاد الاوروبي، الا ان هذه السياسة شهدت تغيرا ملحوظا مع وصول فلاديمير بوتين وهيمنته على السلطة في روسيا. ففي عهد الرئيس الأسبق بوريس يلتسين اتسمت السياسة الروسية بالرفض العلني والمباشر لخطط توسع الناتو، والانخراط بنقاشات مع الحلف ككل أو مع الأعضاء بشكل منفرد لفرض وجهة النظر الروسية حول انضمام اعضاء من الكتلة الشرقية للناتو. هذه السياسة تلقت ضربة قاسمة بتوسع الناتو عام 1999 وضمه لجمهورية التشيك وهنغاريا وبولندا للحلف.

التوسع اعتبر هزيمة مهينة لروسيا وإدارة الرئيس يلتسين، ومهد الطريق للتحول، ووصول الرئيس بوتين للسلطة.

ورغم أن بوتين شارك سابقه الرغبة باقامة شراكة على أساس الندية والمساواة مع الغرب وتثبيت دور روسيا كلاعب وشريك أساسي في أوروبا وفي السياسة الدولية بشكل عام، إلا أنه أدرك تعقيدات العلاقة والاعتماد على الغرب وضعف روسيا الذي حد من قدرتها على التحرك والفعل. فلجأ إلى سياسة تسعى إلى التأثير على القرار الأوروبي بدلا من سياسة الرفض التي تبناها يلتسين. وقام بوتين بالتعاون الصريح مع المؤسسات الغربية. فاستأنف العلاقة مع الناتو التي كان يلتسين قد جمدها، ووافق على الصيغة الجديدة لمعاهدة انتشار الاسلحة التقليدية، وقبل انشاء مجلس روسيا - الناتو في أيار من عام 2002، وحاول انشاء جسم مشابه مع الاتحاد الأوروبي، بالرغم من عدم نجاحه في ذلك. (40)

حاول بوتين التأثير على القرار الأوروبي من الداخل، من خلال خلق شبكة من المصالح المشتركة تكون كفيلة بالتغلب على الاختلاف في القيم والاهداف السياسية للطرفين. في عام 2001، منحت هجمات 11 سبتمبر والحرب على الارهاب في افغانستان التي تلتها، فرصة ذهبية لبوتين لتنفيذ سياسته وبناء شبكة من المصالح المشتركة مع الغرب أساسها التعاون الأمني، حيث كان الدعم الروسي للحرب مفيدا وضروريا للقوات الغربية التي دخلت إلى الاراضي الافغانية. كما استثمر بوتين علاقات روسيا الجيدة مع طهران وبيونغ يانغ، في تكوين أهداف مشتركة وأجواء من التعاون والتناغم فيما يتعلق بالحد من خطر المشروع النووي الإيراني والكوري الشمالي.

⁴⁰⁾ See Sergei Karaganov, "Russia, Europe, and New Challenges", Russia in Global Affairs, 24 march 2003. http://eng.globalaffairs.ru/number/n_634

من ناحية أخرى، سعى بوتين الى استثمار العلاقات الفردية مع شخصيات قيادية في الدول الاوروبية الكبرى لتحسين العلاقات الثنائية ومحاولة التأثير على القرار الاوروبي. ولعل صداقة بوتين برئيس وزراء ايطاليا الاسبق، بيرلسكوني، هي الاشهر في هذا الاطار. لكن مستشار المانيا الاسبق، جيرهارد شرودر، يمثل الحالة الاكثر تعبيراً عن سياسة بوتين بمحاولة كسب قيادات الدول الاوروبية المؤثرة. ألمانيا وفرنسا وايطاليا بشكل خاص، من خلال توفير مصالح ومكاسب اقتصادية ومالية لهذه القيادات والدول، وتبرز في هذا السياق علاقة بوتين بالمستشار الالمانى الاسبق شرودر، حيث كان شرودر قد دعم أثناء وجوده في منصبه، خط شركة نورد ستريم، وهو خط أنابيب بحر البلطيق المثير للجدل، الذي تديره شركة غازبروم الروسية، والذي جعل روسيا تسيطر على ثلث واردات ألمانيا من النفط والغاز.⁽⁴¹⁾ وقد أصبح شرودر بعد مغادرته منصبه في عام 2005 رئيساً لمجلس ادارة شركة نورد ستريم. كما احتفل بعيد ميلاده السبعين، في حفلة باذخة أقيمت على شرفه في مدينة بطرسبرغ الروسية، كان المضيف هو شركة غازبروم، وضيف الشرف في الحفل هو بوتين.⁽⁴²⁾

اضافة الى هذه السياسات فان أحد أهم ملامح استراتيجية بوتين في التصدي لتوسع الناتو واوروبا تمثلت بسعيه لحياء عملية التكامل مع رابطة الدول المستقلة. فعمل بوتين على تفعيل السوق المشتركة مع بيلاروسيا وكازاخستان. وأنشأ عام 2002 منظمة معاهدة الدفاع المشتركة بيلاروسيا، أرمينيا، كيرغستان، وطاجكستان، ليأسس من خلال هذه المنظمة للسيطرة الروسية على قطاع السلاح والدفاع والأمن

⁴¹⁾ انظر الفصل السابق

⁴²⁾ Erick Kirschbaum and Noah Barkin, Germany's Ex- Chancellor Celebrated his Birthday with Putin in Russia, Reuters, 20 April 2014, <http://www.businessinsider.com/germanys-ambivalence-exposed-by-ex-chancellors-birthday-party-with-putin-2014-4>

في هذه الدول.⁽⁴³⁾ ومع تجاوب هذه الدول مع مشاريع بوتين التكاملية، ركز بوتين جهوده باتجاه اوكرانيا، بسبب موقعها الاستراتيجي وأهميتها لصادرات الغاز الروسي، التي يمر 80% منها عبر الاراضي الاوكرانية، فأصبحت أوكرانيا بذلك مركز الثقل ومحور التجاذب بين طموحات روسيا وأهدافها الاستراتيجية وتطلعات أوروبا للتوسع ونشر أنظمتها وقيمها شرقاً.

وأمام الضغوط الروسية، أختار الرئيس الاوكراني ليونيد كوتشما تعزيز علاقاته مع اوروبا والنااتو كوسيلة للتهرب من ضغوط روسيا، ومحاولتها ادخال كييف الى دائرة نفوذها ونطاق هيمنتها وتأثيرها. وفي أيار من عام 2002، وبما يشبه الرد على انشاء منظمة معاهدة الدفاع المشتركة، أعلن مسؤولون أوكرانيون عن نية بلادهم التقدم بطلب الانضمام الكامل للنااتو. ورغم حرص الغرب على تجنب اثاره العداوة لدى الجانب الروسي، والحفاظ على الانجازات التي تحققت بعد الحرب الباردة من خلال تعزيز العلاقة مع روسيا، ومأسسة التعاون الغربي - الروسي بواسطة المجلس المشترك الدائم الذي تأسس عام 1997 ثم مجلس النااتو - روسيا الذي تأسس عام 2002 قبيل الدورة الثانية لتوسيع النااتو، في محاولة من الغرب للتأكيد أن توسيع حلف النااتو لا يهدف لتطويق روسيا عسكرياً، وانما غرضه دمج وسط وشرق أوروبا بفضاء حلف الاطلسي الامني والعسكري. الا أن روسيا تلقت اعلان كييف عن نيتها الانضمام للنااتو بكثير من القلق والرفض، وعمل بوتين بقوة لثني كوتشما عن تقديم طلب الانضمام لحلف الاطلسي، دون أن تجد محاولات بوتين هذه طريقها للنجاح. وتقوم اوكرانيا في حزيران من نفس العام بالتوقيع على طلب الانضمام للنااتو.

⁴³⁾ See 'Eurasian Economic Community: The Principles of Activity and Prospects of Development', National Security and Defence, Razumkov Centre, December 2002, p.29- 37, http://www.razumkov.org.ua/additional/analytical_report_NSD36_eng.pdf.

ولحسن حظ بوتين، رفض الناتو طلب أوكرانيا، معللاً رفضه بتدني المعايير الديمقراطية في أوكرانيا، وفضيحة بيع أنظمة رادار أوكرانية للعراق. ورغم هذا الرفض، اثمرت جهود أوكرانيا بإنشاء مجموعة عمل الناتو - أوكرانيا، وخطة عمل الناتو - أوكرانيا لإصلاح قطاع الدفاع الأوكراني.⁽⁴⁴⁾ وقد ساهمت هذه البرامج بإجراء إصلاحات ضرورية، ونقل الخبرات والمعايير والقيم الغربية للقوات المسلحة الأوكرانية ومؤسساتها الأمنية، وسهلت في تنامي الجناح المؤيد للغرب داخل هذه المؤسسات، ليساهم هؤلاء لاحقاً، وبشكل فعال في نجاح الثورة البرتغالية.

من جانبه، تعلم بوتين من محاولة كوتشما الانضمام للناتو درساً، الأول، أن على روسيا امتلاك المزيد من الأوراق ووسائل التأثير والضغط على سياسات كييف. والثاني، أن الظروف السياسية السيئة وانتشار الفساد والفضائح المالية والسياسية من شأنها أن تؤخر توسع الغرب وانضمام أوكرانيا للاتحاد الأوروبي والناتو. لذلك، عمل بوتين، وبخط متواز مع مشاريع التكامل الرسمية مع الدول المستقلة عن الاتحاد السوفييتي، إلى السيطرة على النخب السياسية والاقتصادية في هذه الدول، من خلال ربط هذه النخب بمشاريع روسية تدر عليهم الكثير من المصالح والفوائد والعوائد المالية.⁽⁴⁵⁾

⁴⁴⁾ Taras Kuzio, "News analysis: gas, corruption and lack of political will in Ukraine", The Ukrainian Weekly, No.2, 14 May 2006, <http://www.ukrweekly.com/old/archive/2006/200611.shtml>

⁴⁵⁾ See Andrei Zagorski, 'Eastern Partnership from the Russian Perspective,' Friedrich-Ebert-Stiftung, International Politics and Society online. http://library.fes.de/pdf-files/ipg/2011-3/05_zagorski.pdf; and Simon Costea, 'The Profound Causes of Russia's Hostility Towards the Eastern Partnership', 6 May 2010, www.worldsecuritynetwork.com.

بالإضافة إلى محاولة السيطرة على النخب، سعى بوتين أيضا إلى الاستفادة من الجاليات الروسية المنتشرة في رابطة الدول المستقلة، حيث حملت هذه الجاليات الكثير من التعاطف لروسيا، إضافة إلى روابط اللغة والثقافة والتاريخ التي تجمعها بروسيا. فعمل بوتين على تعزيز العلاقات مع هذه الجاليات والحفاظ على هويتها الثقافية وترسيخ مشاعرها المعادية للمؤسسات الغربية وقيمها، هادفا لإنشاء منطقة ثقافية عازلة تعمل على صد ومنع توسع قيم ومفاهيم الديمقراطية الغربية داخل مجتمعات رابطة الدول المستقلة، التي تعتبرها روسيا جزءا من مجالها الحيوي وخط الدفاع الأول عنها. ووصول مفاهيم الديمقراطية لها يعني إمكانية تمددها ووصولها إلى روسيا بسهولة. وقد لاقت سياسات بوتين الكثير من النجاح وسلحت روسيا بالعديد من وسائل القوة والتأثير على جيرانها.

إلا أن هذه السياسات كانت لها نقاط ضعف أيضا، فالروابط الثقافية التي عمل بوتين على توثيقها مع الجالية الروسية في أوكرانيا لم تكن ذات معنى لمكونات واسعة من المجتمع، كما أن قطاعات هامة، على رأسها الشباب، ربطت بين سياسات روسيا وانتشار الفساد وغياب الشفافية. انتشر هذه المشاعر مصحوبة بسعي الرئيس الأوكراني كوتشما للانضمام للنااتو، صنعت خرقا في المنطقة العازلة التي عمل بوتين على انشائها. ورغم تحكمه بالنخب الأوكرانية، إلا أن هذه النخب فشلت في توقع أو التصدي للثورة البرتقالية التي مثلت كارثة لسياسات بوتين وطموحاته، حيث تم الإطاحة بالمنطقة العازلة الثقافية التي عمل على إقامتها. كما مست الثورة بهيبة روسيا وشككت بقدرتها على التأثير في محيطها وما كان يعتبر مناطق نفوذها. في الفترة من أواخر نوفمبر، 2004 وحتى يناير، 2005 ملأ اسم أوكرانيا، وثورتها البرتقالية وسائل الإعلام، وتصدرت الأحداث والاحتجاجات التي عمت البلاد عقب جولة إعادة في الانتخابات الرئاسية، التي أثرت كثير من الشكوك حول نزاهتها، وترددت كثير من الشائعات عن عمليات تزوير وترهيب للناخبين تخللت عملية

الانتخاب. وقد كانت هذه التطورات حدثاً مفصلياً ما زال الكثير من الحبر يسال حول تفاصيله وتداعياته، وأشار تقرير نشرته موسوعة الجزيرة على موقعها الى " دعم أوروبا والولايات المتحدة لظاهرة الثورات الملونة مثل "وردية" جورجيا، و"برتقالية" أوكرانيا، لتحقيق أهداف سياستها الخارجية، وبدا هذا الأمر جديداً على الأوكرانيين الموزعين بين الأقاليم الغربية الثائرة على روسيا "قبلتها الأولى" والمتعجلة للاندماج مع "القبلة الجديدة" أوروبا، مقابل الأقاليم الشرقية التي يسكنها أغلبية من المواطنين الأوكران من ذوي الأصول الروسية الأكثر ولاء لروسيا والتي تشترك وأهلها في اللغة وطريقة التفكير".⁽⁴⁶⁾ وكان توثيق علاقاتها بروسيا محط اهتمام وتركيز بوتين وجزءاً رئيسياً من استراتيجيته بتكوين منطقة عازلة تصد تمدد الغرب ثقافياً وسياسياً. كما أشار التقرير ذاته الى أن " المشاركة الواسعة للجماهير والمواطنين هزت أوكرانيا والعالم، ومع إعادة فرز الأصوات حققت الثورة البرتقالية نجاحاً "مؤقتاً" بخسارة المرشح الموالي لروسيا فيكتور يانوكوفيتش وأنصاره في جولة إعادة لصالح الرئيس فيكتور يوشينكو، لتخسر روسيا جولة شد الحبال مع أوروبا والغرب في برتقالية 2004. وجيء بالتقوراطي يوشينكو ليصبح رمزاً لأوكرانيا الجديدة، الذي كاد أن يصبح "شهيداً" للثورة عندما دُست له كمية من سم "الديوكسين" في حادثة لم تكشف خيوطها، ليتم توجيه أصابع الاتهام إلى روسيا رغم نجاته بأعجوبة ليصاب بتشوهات جلدية في وجهه، ولتضفي عليه هذه الحادثة هالة "الشهيد الحي"، الذي عبثت بوجهه يد روسيا الطويلة. ملحق (1.4)

لتلعب هذه الحادثة الدور الأكبر في إنجاح الثورة "البرتقالية"، التي رأى فيها الأوكرانيون ثورة ضد فساد رجال الأعمال وترجحهم واقتراض مليارات الدولارات من أموال الدولة عبر البنوك، وقضايا الفساد المرتبطة بالغاز الروسي، وهيمنة الأثرياء على مقدرات الدولة، مع ضعف الحياة السياسية والتمثيل الحزبي في البرلمان الذي تحول إلى نادٍ للأغنياء.⁽⁴⁷⁾ وقد فشل الاتحاد الأوروبي في استثمار هذه الثورة لدمج أوكرانيا ومساعدتها في إجراء الإصلاحات السياسية والاقتصادية. فقد

⁽⁴⁶⁾ "الثورة البرتقالية"، موسوعة الجزيرة، الجزيرة، 4 حزيران 2015
<http://www.aljazeera.net/encyclopedia/events/2015/6/2/>

المرجع السابق)⁽⁴⁷⁾

ظلت بروكسل مترددة في قبول عضوية كيف في الاتحاد الاوروبي، بالرغم من فتحها لآفاق جديدة فيما يتعلق بتسهيل التنقل والتجارة الحرة، وازدياد المشاركة الاوروبية في الاقتصاد الاوكراني، وتحديدًا في قطاع البنوك الاوكراني الذي استحوذت الشركات الاوروبية على أهم مؤسساته. التردد الاوروبي فسح المجال أمام بوتين لاستعادة زمام المبادرة، باستخدام نفس الوسائل السابقة مغلقة بقوالب جديدة أكثر فعالية. فالثورة البرتغالية فشلت في التخلص وتنحية النخب التي كانت تدين بالولاء لروسيا، وظلت هذه النخب في مواقعها تعمل على افشال محاولات الاصلاح الاقتصادي والسياسي. بل ان بوتين لم يربط الموالين له بشبكة مصالحه فقط، فقد ربط أيضا أشد معارضي روسيا بها أيضا، فيوشنكو المعارض العنيد لروسيا، أقام علاقة خاصة مع شركة RosUkrEnergo (RUE)، وهي شركة وسيطة تم انشائها للاشراف على الغاز الروسي العابر من اوكرانيا باتجاه اوروبا، اضافة الى الجزء المستهلك في أوكرانيا أيضا. وقد اثرت شائعات حول امتلاك الرئيس السابق كوتشما نسبة تضاهي 5% من هذه الشركة، التي حصلت على امتيازات حصرية مهمة في عهده. وفي عهد يوشنكو لم تحتفظ الشركة بامتيازاتها الحصرية فقط، بل ان يوشنكو نفسه ارتبط بشبكة المصالح التي كونتها الشركة. فقد قام برلمانيون ينتمون للحزب الشيوعي الاوكراني، والحزب الاشتراكي الديمقراطي الاوكراني الموالين لروسيا، بنشر وثائق احتوت على حوالات بنكية تؤكد أن شركة (Petrohaz) التي يديرها شقيق الرئيس الاوكراني، يوشنكو، استلمت مبلغ 53 مليون دولار مقابل خدمات استشارية قدمتها الشركة لنظيرتها (RosUkrEnergo).⁽⁴⁸⁾

⁴⁸⁾ ” US embassy cables: Gas supplies linked to Russian mafia”, Guardian, 1 December 2010
<http://www.guardian.co.uk/world/us-embassy-cables-documents/182121>

كما لجأ بوتين لتقليد الغرب باستخدام وسائل القوة الناعمة. فحول أحد أهم البنوك الروسية المملوكة للدولة (Vnesheconombank) الى بنك تطويري ليساهم بشكل كبير في الاقتصاد الاوكراني، تحديدا في مجالي الصناعات الثقيلة والتمويل. كما قام بتأسيس صندوق خاص تحت اشرافه الشخصي بهدف الاستحواذ على أصول أوكرانية في قطاعات استراتيجية يحددها هو بنفسه.⁽⁴⁹⁾

واستمر بوتين في سياسته لتعزيز العلاقات مع الجالية الناطقة بالروسية في اوكرانيا، محاولا كسب ولائهم واستعمالهم كأداة للتأثير والضغط السياسي. فأسس عام 2006 مركز المعلومات الروسية - الاوكرانية المشترك، وعام 2007 أسس مؤسسة العالم الروسي (Russkiy Mir). واستعمل هذه المؤسسات لنشر التعاطف مع روسيا والرفض للغرب ومؤسساته وقيمه.⁽⁵⁰⁾ لكن أكثر خطوات بوتين فعالية وأهمية كانت بدعمه لحزب الاقاليم الاوكراني الذي استعمل قضايا اللغة الروسية، العلاقة مع روسيا، والعداء للنااتو لكسب المصوتين خلال الانتخابات النيابية عام 2006 حاصدا معظم أصوات المواطنين الناطقين بالروسية. وقد نسق الحزب مع أحزاب أخرى تشاركه الولاء لروسيا، الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي الديمقراطي، لعرقلة الحكومة الجديدة المعارضة لروسيا التي أفرزتها الثورة البرتقالية، وتعطيل اجراءات التكامل مع الغرب من خلال البرلمان، قبل أن يحقق أكبر انجازاته بفوز مرشحه فيكتور يوشنكو في الانتخابات الرئاسية عام 2010.

⁴⁹⁾ Daryna Krasnolutska and Kateryna Choursina, "Russia's Vnesheconombank Acquires 75% Stake in Ukrainian Lender", Bloomberg, 15 January 2009
www.bloomberg.com

⁵⁰⁾ See <http://www.rosukr.org> and <http://www.aminuk.org/>

وبعد خمس سنوات، فشلت ثورة كييف البرتقالية في ترجمة طموحات الشعب الاوكراني وانجاز الاهداف التي كان يتطلع لها، فقد أشار تقرير الجزيرة الذي تمت الاشارة له سابقا الى أن " معدلات الفقر زادت إلى 37%، وتراجعت فرص العمل وتزايدت معدلات البطالة إلى 15%، وتفاقم عجز الميزانية وتراجعت معدلات النمو واستشرى الفساد، وازداد نفوذ رجال الاعمال الذين انقسموا بين المتطلعين نحو الغرب وأولئك الموالون لموسكو، ودفع فشل يوشينكو في تحقيق التوازن بين فروع السلطة إلى قبوله مضطرا، قبيل انتخابات الإعادة عام 2007، إلى الموافقة على إجراء تعديلات دستورية نقل بموجبها بعض صلاحيات الرئيس للبرلمان، خاصة ما يتعلق منها بتشكيل الحكومة، فأصبحت أوكرانيا دولة برلمانية رئاسية، وخلق هذا التعديل الدستوري أرضية خصبة لمواجهة مستمرة بين الرئيس والبرلمان والحكومة. وفي عام 2010 دفعت أوروبا ثمن تردها واهمالها لاوكرانيا، وجنى بوتين ثمار سياسته ومثابرتة، حيث فاز يانكوفيتش زعيم حزب الاقاليم، الاوكراني الناطق بالروسية والموالي لموسكو في انتخابات 2010، إثر فشل حكومة الثورة في إنجاز أهدافها، لتخرج وسائل الاعلام الغربية واصفة هذا الفوز بعناوين مثل "الموت الحزين للثورة البرتقالية".⁽⁵¹⁾

فشل الثورة البرتقالية ووصول يانكوفيتش الى السلطة منح بوتين شعورا بالانتصار، والنجاح في فرض أمر واقع يتمثل باوروبا ثنائية التوجه والقيادة والقبطية. هذا النجاح ربما حرم بوتين من فرصة استخلاص العبر من الثورة البرتقالية، وربما هي قناعة بوتين بان تغييب الديمقراطية عن الحياة السياسية والسيطرة على النخب بمشاركة ينخرها الفساد قد أثبتت نجاعتها كالسياسة الأفضل للتأثير والتحكم بمجالها الحيوي المتمثل برابطة الدول المستقلة. على الجانب الآخر، تعلم الاوروبيون من التجربة، وأدركوا أخطاءهم، وفهموا ثمن التردد والتراخي في دعم التغيير والاصلاحات في الحياة السياسية والاقتصادية التي افتقرت الى الديمقراطية ونخرها الفساد في أوكرانيا.

⁽⁵¹⁾ "الثورة البرتقالية"، موسوعة الجزيرة، الجزيرة، 4 حزيران 2015
<http://www.aljazeera.net/encyclopedia/events/2015/6/2/>

لم تفقد نخب الثورة البرتقالية الأوكرانية الأمل بالانضمام للاتحاد الأوروبي، ونجحت بفتح مسار المفاوضات لتوقيع اتفاقية الشراكة الأوروبية-الأوكرانية، التي كانت ستلزم الطرفين بالتعاون والتكامل في المجال الاقتصادي، التشريعي، والسياسي. إضافة إلى إقرار إجراءات متعلقة بحقوق العمال، حرية تنقل الأفراد، تطوير بنية أوكرانيا التحتية في مجال الطاقة. إضافة إلى إنشاء منطقة تجارة حرة بين الطرفين. لكن الاتحاد الأوروبي من جانبه أعلن أن اتفاقية الشراكة لن يتم اعتمادها وقبولها ما لم تقم السلطات الأوكرانية بإجراء إصلاحات في القطاع الاقتصادي، القضائي، والمالي ووقف التدهور في الحياة الديمقراطية وسيادة القانون مطالباً بالافراج عن المعارضة ورئيسة الوزراء السابقة، يوليا تيموشنكو والمعارض يوري لوتسنكو.⁽⁵²⁾ وتم تحديد موعد القمة الأوروبية المنعقدة في فيلينيوس في 29 نوفمبر، 2013 كتاريخ نهائي لكيف لتلتزم بالمطالب الأوروبية وتتعهد بتنفيذ الإصلاحات المطلوبة.⁽⁵³⁾ من جانبه، وبالرغم من ضغوط الكرملين، دعا الرئيس الأوكراني في حينه، يانكوفيتش، البرلمان الأوكراني إلى إقرار التشريعات اللازمة لإجراء الإصلاحات التي طالب بها الأوروبيون.⁽⁵⁴⁾ إلا أن البرلمان الأوكراني رفض إقرار هذه التشريعات، وأعلن الرئيس الأوكراني أسبوعاً واحداً قبل انعقاد القمة الأوروبية في فيلينيوس تجسيد توقيع اتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوروبي، و حاول إقناع الشعب أن هذا في صالح الاقتصاد الأوكراني. و سارعت روسيا للإعلان عن تقديم قرض ضخم لكيف بقيمة 18 مليار دولار، و بشكل عاجل، حيث قدمت فور إعلانها عن ذلك 3 مليار دولار.⁽⁵⁵⁾ و كان الروس يظنون أن الإعلان عن هذا المبلغ كاف جداً لتهدئة الأوضاع و تفادي وقوع اضطرابات نتيجة إلغاء اتفاقية الشراكة مع أوروبا من طرف كيف ورئيسها الموالي لروسيا في حينه. ولحاجة

⁵²⁾ Ukrainian leader Yanukovich pardons Tymoshenko ally, BBC, 8 April 2013 and Ukrainian president pardons Lutsenko and Filipchuk, Interfax-Ukraine, 7 April 2013

⁵³⁾ Ukraine Faces EU Reform Deadline as key to Association Pact, Bloomberg, 25 February 2013

⁵⁴⁾ Ukraine leader urges pro-Europe drive despite Kremlin pressure, Reuters, 3 September 2013

⁵⁵⁾ "بوتين إلى جانب أوكرانيا: يمنحها 15 مليار دولار ويخفض لها سعر الغاز"، أيلاف، 17 ديسمبر 2013

أوكرانيا للمال بسبب معاناة اقتصادها من شبح الانهيار و الإفلاس، لم تعتقد روسيا أنها ستواجه هذه المرة رفضاً أوكرانيا عنيدا، حيث تسبب الغاء الاتفاقية بموجة واسعة من الاحتجاجات، ليعود المتظاهرون لملاً ميدان الاستقلال في كييف، ويحصل الميدان على لقب جديد هو ميدان أوروبا. ومع ادراك الرئيس يانكوفيتش أن المعركة هذه المرة حاسمة لجهة تحديد مصيره ومصير فريق واسع من حيتان المال وطبقة المستفيدين من النخب الموالية لروسيا، تحول ميدان الاستقلال الى ثكنة عسكرية تملأها السيارات العسكرية والمتاريس الضخمة. وتدخلت قوات الامن بقوة وعنف مخلفة عشرات الضحايا من القتلى والجرحى، لتضيف مزيدا من الملح على جراح قطاع واسع بدأ بالاحتجاج على تعطيل اتفاقية الشراكة الأوروبية ثم تدرجت مطالبه لتشمل اسقاط النظام ومحاربة الفساد المستشري بقوة واعادة تركيب هيكل السلطة بشكل شفاف ونزيه. وينجح هؤلاء الثوار باسقاط يانكوفيتش الذي هرب الى روسيا، التي بدورها نقلت الصراع الى مرحلة جديدة. فبعد أن كان الصراع الروسي - الأوروبي على اوكرانيا أشبه بالتنافس على التحكم بوسائل وأدوات التأثير والسيطرة، نقلت روسيا هذا الصراع الى مرحلة استخدام القوة العسكرية المباشرة لتحقيق أهدافها السياسية، حيث قام مسلحون يرتدون ملابس عسكرية روسية باحتلال البرلمان في شبه جزيرة القرم اضافة الى المطارين الرئيسيين. وفي الاول من مارس عام 2014 وافق مجلس الاتحاد الروسي على طلب الرئيس بوتين استخدام القوات العسكرية الروسية داخل اوكرانيا، لينتهي الامر باجراء استفتاء عام في 16 مارس، ذهب 95% من أصوات المشاركين فيه، وفقا للنتائج الرسمية، لصالح الانفصال عن اوكرانيا والانضمام لروسيا لتعود القرم بذلك جزءا من روسيا.⁽⁵⁶⁾ واستخدمت المناطق الشرقية من اوكرانيا، التي تضم نسبة عالية من الناطقين بالروسية، قرارات البرلمان عقب هرب يانكوفيتش بالغاء قانون يعتبر اللغة الروسية لغة رسمية ثانية في البلاد، واعتبار

" بوتين يوافق على مشروع معاهدة خاصة بانضمام جمهورية القرم الى روسيا"، روسيا اليوم، 18 مارس 2014⁵⁶⁾

اللغة الاوكرانية لغة رسمية وحيدة للبلاد، اضافة لاحتجاز عدد من المسؤولين المعروفين بالولاء لروسيا، وكان معظمهم من المواطنين الناطقين بالروسية، استخدمت هذه القرارات للتدليل على التوجهات العنصرية والاجندات المعادية لروسيا لدى قادة الحراك والثورة الجديدة في كييف، وقامت ميليشيات مسلحة مدعومة من روسيا بالسيطرة على مناطق واسعة من اقليمي دونيتسك ولوغانسك، لتشتعل حرب أهلية حقيقية بين قوات الانفصاليين المدعومة من روسيا والقوات الاوكرانية.

2.4 أزمة القرم الأبعاد والتداعيات

بعيد الاستفتاء الذي أجري في شبه جزيرة القرم وكانت نتيجته لصالح الانفصال عن اوكرانيا والانضمام لروسيا، ألقى بوتين خطاباً أمام مجلس الدوما جاء فيه:

" كما ذهب الغرب بعيداً في تدخلاته في شؤون الدول المستقلة بدعم جهات داخلية للقيام بثورات على حكوماتها أفضت الى انهيار الدول في عديد من مناطق الشرق الأوسط وهو ما حاولوا فعله في أوكرانيا كذلك، لقد رأينا العديد من هذه الأفعال كأعمال عدائية ضد المصالح الروسية في المنطقة الأوراسية. وعلى الرغم من محاولات روسية المتكررة لفتح الحوار مع الغرب ومع الولايات المتحدة تحديداً للوقوف على مصالح روسيا العليا فقد ووجهنا بالكذب من طرف الغرب، وأهمها كان بتوسع الناتو شرقاً واقتراب وصوله الى الحدود الروسية. وقد تعدوا ذلك بالتحضير لنشر الصواريخ القريبة من حدودنا والتي تشكل خطراً استراتيجياً على روسيا ومصالحها. وقد تم كل ذلك في ظل الكذب المستمر من قبل الغرب على روسيا حول قضايا ثانوية كقضايا تأشيرة الدخول للروس أو فتح الأسواق الغربية للبضائع الروسية والتي لم يتم شيئاً منها. إن كل هذا يشير الى أن سياسة الإحتواء التي انتهجتها الولايات المتحدة وحلفاءها بالغرب ضد الاتحاد السوفييتي مازالت قائمة حتى اليوم ضد روسيا. في النهاية هناك حد وخط أحمر لكل شيء، والخطوات الغربية في أوكرانيا قد تعدت الخط الأحمر. اليوم نحن أمام مسؤولية روسية بانهاء الهستيريا الغربية. روسيا دولة عظمى مستقلة وهي شريك فعال بالنظام الدولي. لذلك لن تقبل روسيا الانتفاف

عليها بتوقيع اتفاقية ما بين الناتو وأوكرانيا تجعل من ارتثنا التاريخي في القرم وأسطولنا الذي نعتز به في سيفاستبول بيد الناتو .

لذلك روسيا ستستعمل كل حق دبلوماسي وسياسي وكل وسيلة قانونية للدفاع عن مصالحها في ظل هذا النظام الدولي".⁵⁷

يمكن استخلاص الخطوط العريضة التي تمثل دوافع الموقف الروسي من الأزمة الاوكرانية وأدوات تحقيق رؤية روسيا فيما يتعلق باوكرانيا. فأبرز ما يمكن ملاحظته هو الالهية الخاصة لشبه جزيرة القرم بالنسبة لروسيا. تقع شبه جزيرة القرم جنوبي أوكرانيا وتتصل بشريط بري ضيق جداً مع الأراضي الأوكرانية، كما يحده شبه جزيرة القرم من الشرق مضيق بحري يكاد يصلها بالأراضي الروسية،⁵⁸ وتحتل القرم مكانة استراتيجية وجيوسياسية كبيرة بحكم موقعها ليس منذ يومنا هذا وإنما منذ مئات السنين. فقد شهدت في منتصف القرن التاسع عشر معركة حاسمة تعتبر من أضخم معارك أوروبا على الاطلاق، وقد كانت جزءاً من الدولة الروسية منذ العام 1783 (بعد استيلاء الحاكمة الروسية كاترينا الثانية عليها بعد سقوطها من يد الخلافة العثمانية وتوقيع اتفاقية ياش)⁵⁹ وحتى العام 1954 عندما قرر الرئيس السوفييتي في ذلك الوقت منحها كهدية للجمهورية الاشتراكية السوفييتية الأوكرانية (أوكرانيا اليوم) وذلك في احياء ذكرى 300 عام من الاتحاد الأوكراني الروسي.⁶⁰ وفي القرم يقع ميناء سيفاستبول، وهذا الميناء الذي يقع على البحر الاسود يمثل معبر روسيا الى المياه الدافئة، مما اكسبه اهمية استراتيجية قصوى لروسيا. ومن أبرز تحليلات هذه الأهمية كان

⁵⁷) President of Russia, Vladimir Putin, 18/3/2014,

<http://en.kremlin.ru/events/president/news/20603>

⁵⁸) Patrick Walker, Doctus Project, The Crimean crisis explained, 18 June 2014

انظر أيضاً الى الخريطة

<https://www.google.com/search?q=Crimea+map&source=lnms&tbn=isch&sa=X&ved=0CAgQAUoAmoVChMII96g3NWFyQIVAtUsCh0KHgSP&biw=1920&bih=979#imgrc=1uQEJD3epfhlL5M%3A>

⁵⁹) مركز البحوث والدراسات، الأزمة الأوكرانية جذورها.. خلفياتها ومستقبلها بين يدي الأزمة .. الاسلام والعلاقات الدولية، مجلة البيان، 2015

⁶⁰) انظر المرجع 58

مسارعة روسيا الى تمديد الاتفاقية الروسية - الأوكرانية التي تسمح بتواجد قطع من الاسطول العسكري الروسي في ميناء سيفاستبول الى عام 2045 عقب فوز المرشح الموالي لروسيا، يانكوفيتش بالانتخابات الرئاسية عام 2010. وقبل ذلك عبر مسؤولون روس كثر عن أهمية تواجد الاسطول الروسي في سيفاستبول والرفض القاطع لمغادرة الروس لمينائها، كان أبرزها تصريح نائب رئيس الوزراء الروسي من القرم عام 2008 بأنه من الصعب تخيل الاسطول الروسي في البحر الاسود بدون قاعدته الاساسية في سيفاستبول. وقال بلهجة تحمل الكثير من التهديد: "ان مطالبة اوكرانيا بانسحاب الاسطول الروسي من سيفاستبول كان محفوا بالمخاطر، لان التلاعب بالتاريخ أخطر من اللعب بالنار."⁶¹

رسم (1.4) : خارطة توضح موقع شبه جزيرة القرم



المصدر: <http://islamsyria.com/portal/article/show/5378>

⁶¹) Pavel Felgenhauer, "Moscow Ready for Major Confrontations with Pro-Western Georgia and Ukraine", Eurasia Daily Monitor, Vol, 5, Issue 117, 19 June 2008

حدث آخر عبر بوضوح عن أهمية القرم، وميناء سيفاستبول بشكل خاص، لروسيا، تمثل بافشال المناورات العسكرية الأوكرانية - الأمريكية في البحر الأسود. فبعد وصول سفينة أمريكية لميناء فيودوسيا بالقرم، لا يصل معدات عسكرية مطلوبة لتنفيذ تدريبات (نسيم البحر) (Sea Breeze) التي كانت مخططة في حزيران من عام 2006، اجتاحت الاحتجاجات شبه جزيرة القرم من المواطنين المعارضين لاجراء هذه المناورات. وفي السادس من حزيران أعلن برلمان القرم، التي كانت تتمتع بالحكم الذاتي، أن القرم منطقة خالية من الناتو. وتحت ضغط الحراك الشعبي الذي تلقى دعما علنيا من الضباط الروس المتواجدون في سيفاستبول، اضطرت كيف للاعلان عن الغاء التدريبات المشتركة مع الامريكيين وقامت القطع الامريكية بالانسحاب من مياه القرم.⁽⁶²⁾ والحادث لا يعبر فقط عن أهمية القرم لروسيا، لكنه أيضا يبرز الدور الاستراتيجي للجالية الروسية المتواجدة في أوكرانيا بشكل عام، وفي القرم بشكل خاص، حيث مثلت هذه الجالية أداة روسيا في التأثير والتحكم سياسيا بكيف، فضلا عن استخدامها كعصا لفرض سياسات روسيا بالقوة كما حصل في شرق اوكرانيا، وذريعة للتدخل الروسي العسكري كما حصل في حرب الايام الخمسة مع جورجيا، عندما تحجبت روسيا بحماية جاليتها في جورجيا لتتدخل عسكريا في الصراع وتحسمه لصالح الانفصاليين في اوسيتيا وابخازيا.

بالاضافة الى ذلك فان كلمة بوتين اعادت التأكيد على مجموعة من القضايا التي مثلت معالم الاستراتيجية والاهداف الروسية. فقد اكد بوتين على رؤية روسيا بوجود اختلال بموازن القوى بالنظام الدولي تسبب

⁶²⁾ Vladimir Socor, " US-les "Sea Breeze" Combined Exercise Cancelled in Ukraine", Eurasia Daily Monitor, Vol, 6, Issue 120, 23 June 2009
<http://www.jamestown.org>

بتدخل الغرب في مناطق نفوذ روسيا التي تعامل معها الغرب كطرف منهزم في الحرب الباردة. وأشار بوتين الى اصراره على ضرورة ان يتعامل الغرب مع روسيا كدولة عظمى وشريك كامل في النظام الدولي.

كما يتضح من خطاب بوتين الرفض الروسي القاطع، وتخوف روسيا من خطط توسع حلف الاطلسي في رابطة الدول المستقلة، اذ تعتبر روسيا هذا التوسع خطرا حقيقيا ومساسا بمصالحها التجارية والاقتصادية والاستراتيجية. لذا اعتبر بوتين أن الثورة واسقاط الرئيس الأوكراني يانكوفيتش، الموالي لروسيا، تم بتحريض غربي، وهو مقدمة لتوقيع اتفاقية لانضمام اوكرانيا للناطو، وهو ما اعتبره عملا عدائيا ضد المصالح الروسية وتدخلها فيما اعتبره مناطق نفوذها، مؤكدا أن ذلك خط أحمر لن تقبل روسيا بتجاوزه.

أحداث ميدان أوروبا، ونظرة روسيا لهذه الاحداث وقرائنها لها أجبرت بوتين على التحرك لإعادة التوازن في ساحة التنافس الغربي - الروسي المركزية، أوكرانيا. فدولة كبرى مثل روسيا لا يمكن أن تترك مصالحها تذهب الى الغرب وهي تلعب دور المتفرج، لا سيما بعد تحسن الاوضاع الاقتصادية وامتلاك روسيا لقدرات مالية كبيرة بفضل زيادة انتاجها من النفط والغاز والارتفاع الكبير في اسعار النفط الذي استمر لعدة أعوام، مما أهل روسيا للانتقال من محاولة لملمة الامور في الفضاء السوفييتي السابق وتخفيف الضرر بقدر المستطاع، الى تحويل مسار الاحداث والتأثير فيها وصناعتها بما يخدم مصالحها. هذا ما حاولت تحقيقه عبر خطوتين أساسيتين، الأولى ضم شبه جزيرة القرم واجراء استفتاء شعبي تضمن روسيا نتائجه لصالحها وبذلك تنهي الخطر بوصول النااتو الى هذه المنطقة المهمة وتحافظ على وجود اسطولها في ميناء سيفاستبول الاستراتيجي. والثانية هي اشغال أوكرانيا بأزمات داخلية وحرب أهلية بدعمها للانفصاليين في المناطق الشرقية التي تضم نسبة عالية من الموالين لروسيا بما يريك النااتو ويؤشر الى ضعف اوكرانيا وعدم أهليتها لعضوية الحلف.

يمكن القول أن الرد الروسي على الاطاحة ببيانكوفيتش بدأ بالخطوة الأخيرة، حيث اتسم الرد الروسي بالسرعة والقدرة على تحقيق مكاسب تكتيكية، لكنه افتقر الى الرؤية الاستراتيجية بعيدة المدى. فنجاح روسيا بضم القرم والحفاظ على تواجد الاسطول الروسي في سيفاستوبول لا يمكن اعتباره سوى نصر تكتيكي. فاوكرانيا كانت مرتبطة باتفاقية مع روسيا تسمح بتواجد الاسطول الروسي في سيفاستوبول حتى عام 2047.⁶³ فتواجد الاسطول الروسي كان شبه تحصيل حاصل سواء قامت روسيا بضم القرم، او بقيت القرم تحت السيادة الروسية. وبالإشارة الى ان القرم كانت تتمتع بحكم ذاتي، وبالنظر الى تركيبة القرم السكانية التي تشكل الجالية الروسية وفقا للعديد من التقديرات حوالي 60% منها، فإنه يمكن القول أن حجم التأثير والتحكم الروسي بالقرم تحديدا كان منقطع النظير، وأن روسيا أمتلكت قدرة فائقة على تحريك الاحداث بما يضمن مصالحها كما تجلى بايقاف مناورات نسيم البحر عام 2006. لذا فان حجم النجاح بضم القرم وأهميته تضمنحل، اذ كانت روسيا قادرة على تحريك الاحداث في القرم دون الوقوع تحت العقوبات الغربية ومنح الغرب المبررات والذرائع لفرض واقع جديد لم تستطع روسيا وقفه او تغييره.

بالمقابل، فان أزمة القرم وما تلاها من نزاع مسلح في شرق أوكرانيا مثلت صدمة كبيرة للاروبيين الذين لا تزال الآثار النفسية التي خلفتها الحرب العالمية الثانية، تلقي بظلالها على أفكارهم ومفاهيمهم ومواقفهم السياسية، حيث يعتبر الأمن و السلام مركز السياسات الداخلية والخارجية الأوروبية. وحاولت أوروبا منذ نهاية الحرب الباردة على نشر التوجهات السياسية الداعية الى تصفية بؤر التوتر، وقرار السلم العالمي. وسادت دعوات الى اقامة نظام دولي يعطي الاولوية للمصالح السياسية والاقتصادية على حساب العوامل

⁶³) "Russia, Ukraine agree on naval-base-for-gas deal", CNN, 21 April 2010
<http://www.edition.cnn.com/2010/WORLD/europe/04/21/russia.ukraine/index.html?hpt=t2>

العسكرية، و لذلك يحاول الأوروبيون توسيع الاتحاد الأوروبي ليشمل كل القارة من غربها إلى شرقها، من أجل تعميم مناخ السلام و الاستقرار. ورغم حجم الصدمة الأوروبية من تحركات روسيا في القرم وشرق أوكرانيا، إلا أن الرد الغربي امتاز بتمالك الاعصاب والحزم وامتلاك الرؤية الاستراتيجية. فعندما كانت روسيا تحرك سكان شرق أوكرانيا، الذين يدين أغلبهم بالانتماء القومي لروسيا، وتدعمهم بشكل واضح في عملياتهم العسكرية ضد القوات الأوكرانية في لوهانسك ودونيتسك، امتنع الغرب عن تقديم الاسلحة الغربية المتطورة لكيف. وظلت السياسة الأوروبية منصبة على وقف القتال. وظل القتال يتراوح بين كر وفر، مع انتصارات نسبية للانفصاليين، على عكس الحالة الجورجية عندما تمكنت روسيا من حسم المواجهة لصالح الانفصاليين خلال خمسة أيام. وبعد خمسة أشهر من القتال العنيف الذي خلف آلاف القتلى والجرحى، حوالي 7000 قتيل و17000 جريح،⁽⁶⁴⁾ نجحت الجهود الأوروبية بقيادة ألمانيا باقناع طرفي النزاع بالتوقيع على اتفاقية لوقف اطلاق النار في أيلول من عام 2014. كانت أهم بنود الاتفاقية هذه وقف اطلاق النار، وسحب القوات والاسلحة الثقيلة من الخطوط الامامية، وانشاء منطقة معزولة السلاح بعمق 30 كم، وتولي منظمة الأمن والتعاون في أوروبا مراقبة الحدود المشتركة مع روسيا بشكل دائم. لكن محاولة الانفصاليين المدعومين من روسيا توسيع مناطق سيطرتهم وحسم الصراع لصالحهم أدى الى انهيار الاتفاق. وبعد أشهر من القتال، سادت فيها مجددا حالة الكر والفر، وعجز أي من الطرفين على حسم المواجهة لصالحه. أثمرت الجهود الأوروبية مجددا، واجتمعت الاطراف المتنازعة على طاولة الحوار لتوقع في مينسك مجددا على اتفاق لوقف اطلاق النار في شباط من عام 2015. وكان الاتفاق مشابها لاتفاق مينسك الأول، حيث كانت أهم بنود الاتفاق:

⁶⁴ "الأمم المتحدة: 7 آلاف قتيل و17 ألف جريح حصيلة النزاع شرقي أوكرانيا"، روسيا اليوم، 27 تموز 2015
<http://www.arabic.rt.com/news/789802-أوكرانيا-شرق-قتلى-عدد-المتحدة-الأمم/>

- يبدأ وقف إطلاق النار في الساعة 00:01 بالتوقيت المحلي من 15 شباط، 2015.
- تبدأ عملية سحب الأسلحة الثقيلة اعتباراً من 16 شباط، 2015 على أن تنتهي في غضون اسبوعين.
- تبادل كافة الأسرى، والعفو عن أولئك الذين شاركوا في القتال.
- انسحاب كافة القوات الأجنبية وأسلحتها من الأراضي الأوكرانية، ونزع أسلحة المجموعات المسلحة غير الشرعية.
- اجراء تعديلات دستورية تسمح بتمتع المناطق التي يسيطر عليها المتمردون بحكم لا مركزي قبل نهاية عام 2015.
- تفرض اوكرانيا سيطرتها على حدودها مع روسيا.⁽⁶⁵⁾

وان كان النزاع المسلح في شرق اوكرانيا قد اثمر بعد قرابة عام من القتال حكما ذاتيا لاجزاء من اقليمي لوهانسك ودونيتسك، فان ذلك قد لا يعبر عن الحد الأدنى من طموحات روسيا. فالمقاتلين الموالين لها لم يكرروا تجربة جورجيا، ولم يستطيعوا السيطرة سوى على قرابة ثلث مساحة الاقليمين. كما أن الاضطرابات والمطالبات بالانفصال عن كييف ظلت محصورة بلوهانسك ودونيتسك ولم تمتد الى أقاليم أخرى، بالرغم من أن المواطنين الأوكرانيين الذين يتحدثون اللغة الروسية كلغة أم يمثلون نسبة مرتفعة تصل الى 40% في ثلاثة عشر مقاطعة من مقاطعات أوكرانيا الأربع وعشرون. رسم(2.4)

⁽⁶⁵⁾ "واشنطن ترحب باتفاق مينسك للسلام في أوكرانيا"، بي بي سي، 12 فبراير 2015، http://www.bbc.com/arabic/worldnews/2015/02/150212_ukraine_us_welcomes_minsk_agreement

رسم (2.4): مناطق سيطرة الانفصاليين المواليين لروسيا في شرق اوكرانيا



المصدر: وكالة الأنباء الفرنسية

وان كانت الازمة قد مكنت روسيا من الاستيلاء على شبه جزيرة القرم، فان القرم مهما بلغت أهميتها، فانها لا يمكن أن تضاهي أهمية اوكرانيا التي أصبحت أقرب للحضن الاوروبي من أي وقت مضى. وأهمية اوكرانيا الاستراتيجية لها ابعاد تاريخية اضافة الى الابعاد الجيوسياسية والاقتصادية، فقد كان الخطر دائما يأتي الى روسيا من اوكرانيا. فعبر سهولها عبرت جيوش الامبراطورية السويدية نحو روسيا، والتي يشير إليها المؤرخون بمعركة بولتافا، احدى المعارك الهامة التي غيرت تاريخ أوروبا إلى اليوم، في ما يعرف في التاريخ بالحرب الشمالية العظمى، والحروب النابليونية التي انتهت بتدمير كبير لروسيا، و احتلال موسكو في القرن 19، ثم الحرب الوطنية العظمى بين الروس و بين الألمان، حيث عبر اوكرانيا أكثر من 3.5 مليون جندي ألماني و أجنبي نحو روسيا. وتاريخيا كانت اوكرانيا محط رحال الحملات العسكرية ضد روسيا. ففي سهولها كانت تستريح الجيوش، و تستعد للحرب من خلال إعادة ربط شبكة الإمدادات و توفير المؤونة من خلال المزارع و البساتين التي تحتويها الأراضي الأوكرانية. كما أن كل الانتصارات التي حققها الروس على

خصومهم عبر المحطات التاريخية الكبرى، كانت بفضل قسوة المناخ، و انقطاع الإمدادات عن الجيوش الغازية في أوكرانيا. هذه الاحداث جعلت الوعي القومي الروسي ينظر إلى أوكرانيا أنها بوابة التهديد الدائم. وهو ما يفسر محاولات روسيا الدائمة للسيطرة عليها، و التحكم في قرارها السياسي، للاستفادة منها مستقبلا في أي حرب مستقبلية. لذا فان كانت روسيا حققت نصرا باهرا في القرم، فانها تعرضت لخسارة فادحة في كريف. وبدلا من ان يقيم بوتين منطقة عازلة ثقافيا وعسكريا، خسر جارا استراتيجيا. ولم يقف الامر عند خسارته، بل تحول بسبب سياسات روسيا والنخب الاوكرانية الموالية لها الى جار شديد العداوة لروسيا. فقد كان دور الحركات القومية الاوكرانية في ثورة ميدان اوروبا، من أهم المعالم وأبرز الفروقات بين ثورة ميدان اوروبا والثورة البرتغالية، وتجلت النزعة القومية المعادية لروسيا بانتشار صور ستيفان بانديرا في ميدان أوروبا، " وبانديرا هو الذي قاد حركة قومية مسلحة ضد الحكم السوفييتي في اوكرانيا في ثلاثينيات القرن الماضي واربعيناته، وبعد أن قضى عدة سنوات داخل سجون ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية، عاد بعد اطلاق سراحه ليقود حراكا مسلحا ضد التواجد السوفييتي في اوكرانيا، ما حوله زعيما قوميا في نظر الاوكرانيين، وعدوا لدودا للروس، خصوصا أنه يعد المسؤول عن مقتل العديد من الروس.⁶⁶ هذه المظاهر التي برزت في ميدان اوروبا تؤثر بوضوح ان اوكرانيا التي ارادها بوتين منطقة عازلة تدين بالتعاطف والولاء لروسيا اصبحت اقلما شديد العداوة لها.

وإذا اضيف العامل الاقتصادي لأهمية أوكرانيا الجيوستراتيجية فان الخسارة الروسية ستزداد فداحة. فاوكرانيا التي يقطنها 46 مليون نسمة تعد أحد أكبر أسواق البضائع الروسية التي قد لا تكون، في الغالب، قادرة على منافسة الصناعات الاوروبية. بعد توقيع أوكرانيا على اتفاق الشراكة الاوكراني-الاوروبي، ما يعني ان قطاعات مهمة وحيوية للاقتصاد الروسي سوف تتعرض لخسائر كبيرة وسيكون لزاما عليها البحث عن أسواق

⁶⁶ "واشنطن ترحب باتفاق مينسك للسلام في أوكرانيا"، بي بي سي، 12 فبراير 2015، http://www.bbc.com/arabic/worldnews/2015/02/150212_ukraine_us_welcomes_minsk_agreement

جديدة لتعويض خسارة السوق الاوكراني. كما أن الاقتصاد الروسي الذي يعتمد بشكل كبير على صناعة النفط والغاز، مرتبط ارتباطاً عضوياً بأوكرانيا، حيث أن 80% من صادرات روسيا من النفط والغاز تذهب الى أوروبا، ونحو 80% من هذه الصادرات يمر عبر أوكرانيا. وفي القطاع الصناعي فإن خسارة القطاع الصناعي في روسيا قد لا تعوض،" فقد تميز النموذج الصناعي السوفييتي باقامة مجتمعات صناعية ضخمة موزعة في فضائه، وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي تلاشت غالبية هذه المجتمعات الصناعية العملاقة، إذ لم يعد ممكناً استمرار مجمع صاروخي في العمل، مثلاً، عندما تنتج أجزاء منه في موسكو وأجزاء في كازاخستان، أو أوكرانيا، أو بيلاروسيا. مثلاً تقدم مصانع أوكرانيا تقنيات لازمة لصناعة المحطات الكهروذرية الروسية، ولمجتمعات الصواريخ وغيرها من الصناعات الحيوية لاقتصاد البلدين". (67)

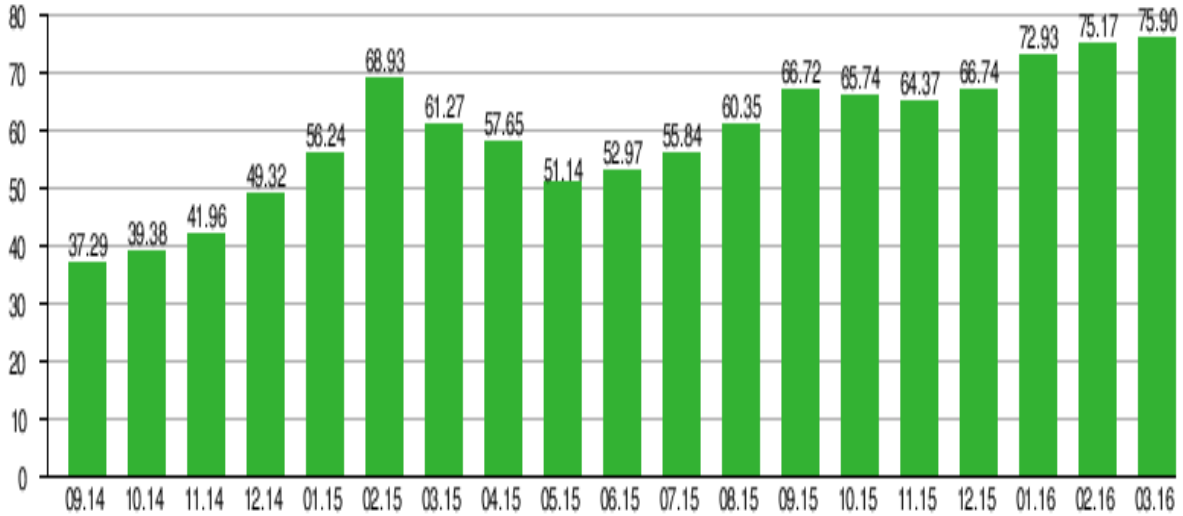
والى جانب الخسائر في قطاعات التجارة والصناعة والطاقة، فإن الازمة تسببت بفرض عقوبات اقتصادية من قبل الدول الغربية على روسيا. فبعد اعلان روسيا ضمها لشبه جزيرة القرم في تموز 2014 بالتحديد، أعلنت القوى الغربية بشكل موحد فرض عقوبات على روسيا لتدفعها نحو التراجع عن خطوة ضم القرم ومعاقبتها على هذه الخطوة، وقد انضم لفرض هذه العقوبات كل من الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية وكندا وحلفاء آخرين. وقد تصاعدت هذه العقوبات تدريجياً وقد شملت القطاعات الاقتصادية في ثلاث محاور أساسية هي: تقييد وصول بعض المصارف وشركات الطاقة وشركات السلاح الروسية المملوكة من الحكومة الى أسواق المال الغربية، إضافة الى حظر الصادرات الأوروبية في مجالات التكنولوجيا ومعدات التنقيب عن الطاقة ومعدات انتاجها، وأخيراً حظر كل الصادرات التي تدخل في الصناعات العسكرية الى روسيا. وقد

⁶⁷ علي العبد الله، " الصراع على أوكرانيا... التحاق السياسات بأوروبا وأميركا أم بروسيا؟"، العربي الجديد، 1 مارس 2015 <http://www.alaraby.co.uk/opinion/2015/3/1/>

أضيف لها قائمة من رجال الأعمال الروس والأفراد اللذين يتهمهم الغرب بلعب دور في خطوات روسيا ضد أوكرانيا.⁽⁶⁸⁾

ولتزيد أوضاع الاقتصاد الروسي صعوبة، ضربته مجموعة من التحديات في آن واحد. فلم تقتصر هذه التحديات على العقوبات الاقتصادية، بل رافق هذه العقوبات، وربما نتج عنها، هبوط حاد في قيمة العملة الروسية، الروبل، حيث انخفض من مستويات 37 روبل / دولار في أيلول من عام 2014، ليصل الى مستويات قياسية وصلت الى 80 روبل/ دولار، ووصل الى مستوى 100 روبل/ دولار في السوق السوداء.⁽⁶⁹⁾

سعر صرف الدولار مقابل الروبل



⁶⁸⁾ Sanctions After Crimea: Have they worked?, NATO Review Magazine, report. <http://www.nato.int/docu/Review/2015/Russia/sanctions-after-crimea-have-they-worked/EN/index.htm>

⁶⁹⁾ انظر، "الروبل الروسي الى أين؟"، الجزيرة، 31 كانون أول 2015 <http://www.aljazeera.net/news/ebusiness/2015/12/31/أين-إلى-الروبي-الروبي>

وهو ما زاد من كلفة الدين على الشركات الروسية وتسبب بخسائر فادحة لهذه الشركات مجبرا بعضها على اعلان افلاسها. اضافة الى ارتفاع مستويات التضخم التي وصلت الى 18% وارتفعت اسعار السلع الاساسية للمستهلك الروسي. كما اضطر البنك المركزي للتدخل بهدف الحد من التراجع السريع في سعر الروبل، فقام برفع سعر الفائدة الى مستوى قياسي بلغ 17% قبل ان يقوم بخفضها تدريجيا لتصل الى 11%. وانخفض احتياطي روسيا من النقد الاجنبي من مستويات 524 مليار دولار، ليصل قبيل نهاية عام 2015 الى مستوى 368 مليار، بخسارة بلغت حوالي 156 مليار دولار انفقها البنك المركزي لحماية الروبل.⁽⁷⁰⁾

لم يكن التراجع الكبير في سعر صرف الروبل التحدي الاكبر الذي واجه الاقتصاد الروسي. فالاقتصاد الروسي يعتمد بشكل كبير على النفط والغاز، حيث تشكل عوائد النفط والغاز 70% من موارد الموازنة العامة الروسية. ولسوء طالع الروس فان النفط، الذي بلغ معدل انتاج روسيا منه عام 2015 مستوى 10.8 مليون برميل يوميا، بدأت أسعاره بالتراجع بشكل كبير، فبعد ان وصل سعر برميل النفط مستوى 100 دولار في النصف الاول من عام 2014، تراجع الى مستوى 60 دولار / البرميل في النصف الثاني، قبل ان يستمر بالتراجع ليصل سعر البرميل الى مستوى 30 دولار في الربع الاخير من عام 2015.⁽⁷¹⁾

⁷⁰⁾ See Olga Tanas and Anna Andrianova, "Russia Defends Ruble with Biggest Rate Rise since 1998", bloomberg, 16 December 2014, <http://www.bloomberg.com/news/articles/2014-12-15/russia-increases-key-interest-rate-to-17-to-stem-ruble-decline>

⁷¹⁾ Frank Chung, "The Cold War is back, and colder", news.com.au, 18 December 2014, <http://www.news.com.au/finance/economy/the-cold-war-is-back-and-colder/news-story/>

Brent crude oil prices, January 2014 - January 2016



Source: Bloomberg

BBC

لتتلقى الموازنة الروسية بذلك صدمة قوية محققة عجزا صافيا بلغ 5 مليار دولار عام 2014، و25 مليار دولار عام 2015 وفقا لبيانات وزارة المالية الروسية (Russian-insider.com). وشهد النمو في الناتج القومي الاجمالي تراجعا أفضل خطة الحكومة 2014-2016، التي كانت تستهدف نموا بمستوى 4.2% في عام 2015، ليحقق الناتج القومي الاجمالي انكماشاً بنسبة 3.2% بدلا من تحقيق النمو. هذا الانكماش تسبب فيه اضافة لتراجع سعر النفط، هروب العديد من الاستثمارات الاجنبية، حيث تشكل الاستثمارات الاوروبية في روسيا 70% من مجمل الاستثمارات الخارجية. وتقيد التقديرات بخروج حوالي 100 مليار دولار من روسيا بسبب الأزمة الاوكرانية والعقوبات الغربية التي تلتها. وأفاد تقرير الأمم المتحدة حول الاستثمار العالمي، أن الاستثمار الخارجي المباشر في روسيا تراجع بنسبة 92% في عام 2015.⁽⁷²⁾ هذه العوامل وضعت الاقتصاد الروسي أمام أسوأ أزمة تواجهه منذ الأزمة المالية العالمية عام 2008، وانعكست الأزمة

⁷²⁾ “Foreign direct investment inflow to Russia down 92 pct in 2015”, DAILY SABAH, 22 January 2016,

<http://www.dailysabah.com/economy/2016/01/23/foreign-direct-investment-inflow-to-russia-down-92-pct-in-2015>

بشكل مباشر على المواطن الروسي حيث ألغت الحكومة الزيادات في معاشات الموظفين الحكوميين والمتقاعدين، وأوقفت بعض برامج الدعم الحكومي للمحتاجين. ووصلت أعداد الفقراء الى أعلى مستوى لها منذ تسعة أعوام وفقا لهيئة الاحصاء الروسية التي أكدت أن 22 مليون روسي باتوا يعيشون تحت خط الفقر. وقد عبرت وزارة المالية الروسية عن عمق الأزمة متوقعة نفاذ موارد صندوق الاحتياط قبل نهاية العام 2016، واستمرار الركود في الاقتصاد الروسي لثلاث سنوات على الأقل.⁽⁷³⁾ كما عبر رئيس الوزراء الروسي، ديميتري ميدفيديف، عن حجم الأثر الذي تركته العقوبات الغربية قائلا: "الأزمة الاقتصادية المتولدة عن العقوبات الغربية تبدو أصعب مما اعتقدنا، بل تبدو أسوأ مما اعتقد أشد المتشائمين"⁽⁷⁴⁾.

العقوبات الاقتصادية وما سببته من أزمة للاقتصاد الروسي لم تكن النجاح النسبي الوحيد الذي يمكن اضافته للنجاح الديبلوماسي الذي تمثل باتفاقية مينسك لوقف القتال في شرق أوكرانيا. فنجاح الغرب الأكبر تمثل بفرضه لوقائع جديدة وقفت روسيا عاجزة أمامها وغير قادرة على وقفها. التنافس الروسي الغربي الذي اتخذ شكل محاولات امتلاك والسيطرة على أدوات التأثير والتحكم بالقرار الاوكراني كان في جوهره صراع قيمي وثقافي. فروسيا كانت تحاول انشاء منطقة عازلة ثقافية في اوكرانيا بهدف صد مشاريع التكامل والاندماج الاوكرانية الاوروبية، خشية من انتشار قيم وأنظمة أوروبا الديمقراطية وأساليبها في الاقتصاد والأعمال القائمة على الشفافية والنزاهة، في أوكرانيا ذات الصلات التاريخية الوثيقة بروسيا مما يهدد بانتشار هذه القيم الى روسيا. وهذه المخاوف الروسية كان لها ما يبررها، اذ كان اندماج دول اوربا الشرقية بالاتحاد الاوروبي أشبه بحالة شديدة العدوى، تناوبت الدول على الاصابة بها. وقد أصابت العدوى المجتمع الاوكراني أيضا

انظر، " الفقر يتزايد في روسيا مع انكماش الاقتصاد"، الجزيرة، 16 كانون أول 2015، ⁷³⁾

<http://www.aljazeera.net/news/ebusiness/2015/12/16/الفقر-يتزايد-في-روسيا-مع-انكماش-الاقتصاد>

⁷⁴⁾ Ivana Kottasova, Sanctions will cost Russia more than \$100 Billion, CNN Money, April 2015

بعدها شهد جيران كييف الغربيين كبولندا تطورا اقتصاديا كبيرا وارتفاعا ملحوظا في مستوى دخل الفرد، الذي وصل في بولندا عام 2015 الى 26500 دولار/ السنة، بينما كان في اوكرانيا 8000 دولار/ السنة (75)، مما جعل الانضمام للاتحاد الاوروبي غاية وحلم عند قطاع واسع من الاوكرانيين الذين نظروا الى روسيا كقوة تحاول اجهاض هذه الحلم واخضاعهم لتحكم الطبقة الفاسدة من السياسيين ورجال الأعمال. وفي منتصف عام 2014 تحقق جزء من حلم قطاع مهم من الشعب الاوكراني، عندما وقع الرئيس الاوكراني بوروشينكو على اتفاقية الشراكة الاوكرانية - الاوروبية التي تتكون من 1200 صفحة تحتوي اجراءات لدمج اوكرانيا بالاتحاد الاوروبي من خلال تنفيذ اصلاحات في القطاع الاقتصادي والمالي والقضائي، وسن تشريعات تتلاءم مع القيم الاوروبية المتعلقة بحقوق العمال وسيادة القانون. كما شملت الاتفاقية انشاء منطقة تجارة حرة بين الطرفين الاوروبي والاوكراني. (76)

ولأن اوكرانيا كانت مركز الثقل وساحة المد والجزر الرئيسية ووسيلة روسيا الاله لصد الغرب، ومفتاح الغرب للتمدد في الشرق، فان 27 حزيران من عام 2014 لم يشهد توقيع اتفاقية الشراكة الاوكرانية - الاوروبية فقط، بل شمل التوقيع دولتان اضافيتان هما جورجيا ومولدوفا، لتفشل بذلك استراتيجية وتكتيكات بوتين الدبلوماسية والعسكرية، ليس في منع كييف من التوقيع على اتفاقية الشراكة التي اشعلت فتيل الازمة فحسب، بل ان سياسته وخياراته الدبلوماسية والعسكرية تسببت بتوقيع ثلاثة دول دفعة واحدة على اتفاقية الشراكة، دون ان تتمكن روسيا من وقف هذه التطورات، واقتصر رد فعلها على "الاعلان عن خيبة أملها وقلقها من التوقيع

⁷⁵) World Economic Outlook Database, April 2016, International Monetary Fund, <http://www.imf.org/external/pubs/ft/weo/2016/01/weodata/>

⁷⁶) مرجع سبق ذكره، انظر 52

على اتفاقية الشراكة الاقتصادية، لأنها قد تؤدي الى تدفق غير منضبط للسلع والبضائع، وحذرت من أنها ستضطر لاتخاذ اجراءات وقائية لحماية اسواقها.⁽⁷⁷⁾

التوقيع على اتفاقيات الشراكة وما تضمنته من اصلاحات، مهد الطريق امام اوكرانيا وجورجيا ومولدوفا للانضمام الى الاتحاد الاوروبي، وتنفيذ الاصلاحات وما قد ينتج عنها من حد للفساد المالي وتحسن في الاوضاع الاقتصادية ومستوى دخل الفرد في هذه الدول. قد تنتشر في الاجواء براعم الحرية والرخاء التي قد تصيب عدواها قطاعات داخل المجتمع الروسي، خاصة مع الاوضاع الاقتصادية والسياسية السائدة في روسيا اليوم، والتي تشبه الى حد كبير تلك الاوضاع التي سادت نهاية الثمانينيات من القرن الماضي في الاتحاد السوفييتي. ملحق (2.4)

حجم الرد الغربي على سلوك روسيا في الأزمة الأوكرانية، يكشف مدى اساءة بوتين تقدير الموقف وتوقع ردة الفعل الغربية على ضم القرم واشعال فتيل حرب أهلية في شرق اوكرانيا. فالرد الغربي لم يقتصر على الجوانب الدبلوماسية فقط، بل شمل ملامح عسكرية أيضا. وعلى سبيل المثال، كان بحر البلطيق خط أحمر بالنسبة لروسيا، وقد احترم الغرب ذلك وتجنب نشر قوات او اجراء تدريبات عسكرية في المنطقة. لكن تجاوز روسيا للخطوط الحمراء في اوكرانيا وشبه جزيرة القرم، منح الناتو الذريعة أو الحجة لتجاوز الخطوط الحمراء الروسية، ليشهد شهر حزيران من عام 2015 أكبر تدريبات عسكرية في بحر البلطيق منذ انتهاء الحرب الباردة، بمشاركة 12 دولة شملت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا. وأشار قائد القوات الامريكية في اوروبا قبيل انطلاق التدريبات الى ضرورة التوصل الى الردع الحقيقي لروسيا.⁽⁷⁸⁾

⁷⁷ "الاتحاد الأوروبي يوقع اتفاقيات شراكة مع أوكرانيا وجورجيا ومولدوفا"، روسيا اليوم، 27 حزيران 2014 <http://www.arabic.rt.com/news/750771-جورجيا-مولدوفا-أزمة-روسيا-الشراكة-اتفاقية-أوكرانيا-الأوروبي-الاتحاد/>

⁷⁸ "تدريبات عسكرية واسعة للناتو في البلطيق"، روسيا اليوم، 12 حزيران 2015،

الردع الذي يسعى الناتو التوصل اليه لم تكن اداته تحطيم الرفض الروسي لاجراء مناورات عسكرية في بحر البلطيق فقط، بل ان النشاط العسكري للناتو في دول اوروبا الشرقية شهد ارتفاعا غير مسبوق منذ نهاية الحرب الباردة، وشمل النشاط، الذي لقي معارضة وانتقادا روسيا شديدا، تدريبات عسكرية في بولندا كانت الاضخم من نوعها في اوروبا الشرقية منذ سقوط الشيوعية، اضافة الى نشر معدات عسكرية ثقيلة، لأول مرة ايضا منذ انهيار الاتحاد السوفييتي، في قاعدتين عسكريتين في بولندا.⁽⁷⁹⁾ لكن لن يكون نوع من المبالغة القول بان كل هذه المناورات يمكن ان توضع في كفة، ومناورة رايبند ترايدنت في كفة أخرى. ورايبند ترايدنت هي مناورات عسكرية سنوية انطلقت عام 2014، يجريها الناتو على الاراضي الاوكرانية بالقرب من الحدود مع بولندا، وتشارك فيها قوات أمريكية، لتكون المرة الأولى التي يتواجد فيها الجنود الامريكويون على هذا الدرجة من القرب من روسيا. وتثير هذه المناورات موجات من المعارضة والقلق والغضب في روسيا.⁽⁸⁰⁾ وقد مثل الاعتراض والتعبير عن الغضب والاستياء الحد الاقصى لردة الفعل الروسية على نشاطات الناتو العسكرية المتزايدة، في تجسيد واضح لمدى الخطأ في الحسابات الروسية، اذ أن مناورات الناتو العسكرية المتزايدة والواسعة التي مثلت تجاوزا للخطوط الحمراء الروسية واستفزازا غير مسبوق لها، هذه المناورات ربما كانت غير ممكنة ولن يتم تنفيذها لو لم تقدم روسيا على ضم القرم التي مثلت اقصى ما يمكن أن تقدم عليه روسيا، وحرمتها من امكانيات المناورة والتدرج في تنفيذ سياسات تتصاعد حدتها شيئا فشيئا، في حين احتفظ

<http://www.arabic.rt.com/news/785661>

⁷⁹ "تدريبات كبرى لحلف الناتو في بولندا (فيديو)"، روسيا اليوم، 6 حزيران 2016،

<http://www.arabic.rt.com/news/826368-للناتو-تدريبات-أكبر-بولندا/>

⁸⁰ "الناتو يبدأ مناورات عسكرية غرب أوكرانيا"، العرب القطرية، 15 سبتمبر 2014،

<http://www.m.alarab.qa/story/350072/أوكرانيا-غرب-عسكرية-مناورات-يبدأ-الناتو>،

انظر ايضا،

“Rapid Trident: Largest US Army-led multinational exercise kicks off in Ukraine”, Russia

Today, 27 June 2016,

<http://www.rt.com/news/348527-ukraine-rapid-trident-nato/>

الغرب بخياراته كاملة وامتلك مساحات واسعة للمناورة والتحرك ابتداء من الضغط والجهد الدبلوماسي لوقف القتال وافشال التحرك الانفصالي في شرق اوكرانيا، ثم توقيع اتفاقية الشراكة الاوروبية-الاوكرانية، وصولا الى نشر قوات وعتاد الناتو العسكري في شرق اوروبا، والمناورات والتدريبات العسكرية الواسعة والعديدة التي اجراها الاطلسي في أماكن كان وصول التحالف اليها من المحرمات. وهذه تغييرات استراتيجية في " قواعد اللعبة " تتفوق في أهميتها كثيرا على أهمية ضم روسيا لشبه جزيرة القرم.

ان أزمة القرم تعبر بوضوح عن فشل كلا الطرفين، الروسي والغربي، على تبني سياسة واقعية يراعي فيها كل طرف مصالح واعتبارات الطرف الآخر. فاوروبا تبنت سياسة تركز على نشر الديمقراطية وجعل شعوب اوروبا الشرقية تطلع إلى العيش ضمن مبادئها و قيمها من خلال تحقيق نماذج اجتماعية راقية، عبر تفعيل مشاريع الديمقراطية، و السوق الحرة، و إصلاح القضاء، و محاربة الفساد، وخلق الاعتمادية المتبادلة والتعاون الاقتصادي. وبالرغم من تصريحات المسؤولين والقادة الاوروبيين التي سعت لطمأنة روسيا حيال النوايا الاوروبية، الا أن أوروبا في واقع الأمر لم تراع المصالح الروسية وبنيت سياستها على قراءة خاطئة لمنطقة تمثل مصلحة استراتيجية لروسيا، التي اعتبرت أن أوروبا تسعى الى تحقيق مشروع أوروبا العظمى، وأن توسعها يهدف إلى التأثير على الداخل الروسي، وصولا الى تغيير نظام الحكم في روسيا. لذا فان روسيا كانت لديها المبررات التاريخية، الجيوستراتيجية، والاقتصادية لمعارضة توسع الناتو والاتحاد الاوروبي، فعبر حقب تاريخية عدة مثلت اوروبا خطرا وجوديا حقيقيا لروسيا، ومن الناحية الاقتصادية، مثل توسع الاتحاد الاوروبي، خسارة روسيا لاهم اسواقها في اوروبا الشرقية ورابطة الدول المستقلة. ومنذ منتصف التسعينات تنظر روسيا الى التوسع الحاصل في الناتو والاتحاد الاوروبي على أنه تهديد لها وقد أبدت خشيتها ورفضها لهذا التوسع في الكثير من المحطات، كان آخرها وأبرزها رفضها القاطع للتقارب والشراكة

بين كييف وبروكسل وعدم وقفها ساكنة أمام احتمال تحول الجار الاستراتيجي لها (أوكرانيا) الى معقل للنااتو قد يتوج بقواعد حربية للأخير على شواطئ القرم.

ومن الناحية الأخرى فان روسيا أيضا فشلت في بناء سياسة واقعية تأخذ بعين الاعتبار مصالح وتخوفات أوروبا. فلم تدرك روسيا أن الديمقراطية والشفافية ومحاربة الفساد أصبحت تمثل مصلحة حقيقية للشعوب التي كانت تخضع لهيمنة الاتحاد السوفييتي السابق. وأن محاولتها للتأثير والتحكم بهذه الدول عبر دعم الطبقة السياسية والعسكرية الفاسدة يمثل تناقضا صارخا مع مصالح هذه الشعوب. كما أن سياسة روسيا وتعاملها مع أزمة القرم فشل في فهم حساسية الغرب لخرق القانون الدولي، وانتهاك سيادة دولة مستقلة، واشعال حرب حقيقية على الحدود الشرقية لأوروبا، فأثارت تحركات روسيا مخاوف جيرانها الغربيين الذين كان لهم في التاريخ أيضا ما يبرر تخوفاتهم، وقد عبر العديد من القادة الاوروبيين، خاصة من دول شرق أوروبا، عن هذه المخاوف حيث صرح دونالد توسك رئيس الوزراء البولندي السابق " *إن روسيا تمثل تهديدا استراتيجيا لأوروبا.*"⁽⁸¹⁾، وقال وزير خارجية ليتوانيا لينس لينكفيتشوس في حديثه لمجلة النااتو في مارس 2014: " عندما قامت روسيا بضم مناطق جورجيا الواقعة في جنوب أوسيتيا وأبخازيا في عام 2008، حذر بعض السياسيين الغربيين من أن روسيا لم تنته بعد. لقد قلنا في ذلك الوقت أن الأمر سينتظر لما هو أبعد من ذلك، ولكن لم يستمع إلينا أحد. وقد ذكرنا، بالمناسبة، شبه جزيرة القرم، وذكرنا ترانسنيستريا. وقد جاء الدور على شبه جزيرة القرم، وربما لم يأت دور ترانسنيستريا، لكن من يمكنه استبعاد ذلك؟"⁽⁸²⁾ هذه المخاوف تجسدت برد فعل غربي حاسم، كان أبرز ملامحه العقوبات الاقتصادية

⁸¹ محمد الوغليسي، "الأزمة الأوكرانية جذورها خلفياتها ومستقبلها"، مفيد، 17 آذار 2015، <http://www.elmofeed.com/id/408185808->

⁸² المرجع السابق

والنشاط العسكري الواسع وغير المسبوق في كثافته لحلف الاطلسي، والذي فشلت روسيا في توقعه كما فشلت في ايقافه، لينتشر جنود الناتو للمرة الاولى في الحديقة الخلفية لروسيا، اوكرانيا.

هذا الفشل في سياسات الطرفين، وضعهما على حافة الدخول في علاقة صفرية، بدأت ملامحها تتشكل بالعقوبات الاقتصادية المفروضة على روسيا، التي وان كان ضررها كبيرا على الاقتصاد الروسي، فان آثارها السلبية لم يسلم منها اقتصاد اوربا أيضا، حيث تأثرت النظم الاقتصادية الاوروبية بالعقوبات التي منعت تصدير معدات وتكنولوجيا انتاج الطاقة والبضائع العسكرية. ونتيجة الحظر الروسي على الواردات الغذائية والركود الذي اصاب الاقتصاد الروسي متسببا في تراجع الطلب. هذه العوامل أدت الى تراجع الصادرات الاوروبية لروسيا بحوالي 8.7 مليار يورو.⁽⁸³⁾

ايضا تجلت ملامح هذه العلاقة الصفرية بزيادة الانفاق العسكري في روسيا، الذي جاء كنوع من ردة الفعل على نشاطات الناتو في المجال الحيوي لروسيا، كما عبر عن ذلك نائب رئيس الوزراء الروسي، دميتري روغوزين، حيث قال في تصريح لجريدة روسيا ما وراء العناوين: " ترى روسيا في التهديد العسكري المتمثل في توسيع حلف شمال الأطلسي نحو الشرق دافعاً يجبرها على تحديث أسلحتها النووية الاستراتيجية. وفي هذا السياق، طورت روسيا أنواعا جديدة من الصواريخ الباليستية، كما تواصل تحديث طيرانها الاستراتيجي وبناء غواصات جديدة ونشر منظومة حديثة لرصد المجال الفضائي."⁽⁸⁴⁾

⁸³ مرجع سبق ذكره، انظر 68
⁸⁴ دميتري ليتوفكين، "خطة لتحديث القوات الروسية الاستراتيجية الروسية بالكامل"، روسيا وراء العناوين، 1 اكتوبر 2014
<http://www.arab.rbth.com/technology/2014/10/01/28155.html>

هذه الزيادة في النفقات العسكرية في ظل معاناة الاقتصاد الروسي من الركود قد تزيد الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية السيئة سوءا، وتعيد الى الذهن صورة الاتحاد السوفييتي قبل انهياره، عندما بنى السوفييت عملاقا عسكريا بأرجل خشبية، فما لبث ان سقط هذا العملاق وتقطعت أطرافه.

لكن زيادة النفقات العسكرية في روسيا والتركيز على تطوير الاسلحة الروسية رغم الظروف الاقتصادية الصعبة، واستمرار العقوبات الاقتصادية الغربية على روسيا رغم انها تسبب ضررا للاقتصاد الاوربي أيضا، يؤشر بوضوح ان لعبة العض على الاصابع قد بدأت، وأن كل طرف يحاول تحمل الخسارة بقدر المستطاع، والحاق اقصى الدرجات الممكنة من الضرر للطرف الآخر، وهي لعبة خطيرة. وما لم يقم الطرفان بتطوير سياسة تسعى لايجاد وتطوير سبل التعاون لا سبل التنازح، فانهما قد يستيقظان على عواقب وخيمة قد تصل حد المواجهة المباشرة، مواجهة قد يصعب تخيل طبيعتها وحجمها ومداهها، لكن يمكن التوقع بانها ستكون مدمرة للطرفين.

المراجع

1. Gideon Rose, World Politics, Neoclassical Realism and Theories of Foreign Policy, 1998
2. Charles Haas, 'The Uniting of Europe, University of Notre Dame, 2004
3. David Mitrany, 'The Functional Theory of Politics, St. Martin's Press, 1976
4. أحمد الغمري، العلاقات الروسية الأمريكية في ظل النظام الدولي الجديد، جامعة مؤتة، 2010
5. Richard Sakwa, Frontline Ukraine Crisis in the Borderline, I.B Tauris, 2015
6. Elizabeth Wood, William Pomeranz, Wayne Merry, Maxim Trudolyubov, Roots of Russia's War in Ukraine, Woodrow Wilson Center Press, 2015
7. John J. Mearsheimer, Structural Realism, University of Chicago, 2006
8. Hafner, Manfred and Tagliapietra, Simone: The Globalization of Natural Gas Markets .8
New Challenges and Opportunities for Europe, European Energy Studies Series,
Claeys&Casteels, Deventer, 2013
9. Reducing European Dependence on Russian Gas, The Oxford Institute for Energy
Studies, University of Oxford, 2014
10. Heather Grabbe, The Implications of EU Enlargement, Center for European Reform,
London, 2003
11. Dmitri Trenin, "Russia, the EU, and the Common Neighborhood", Center for European
Reform, 2005
12. Sergei Karaganov, "Russia, Europe, and New Challenges", Russia in Global Affairs, 24
march 2003
13. Eurasian Economic Community: The Principles of Activity and Prospects of
Development, National Security and Defence, Razumkov Centre, December 2002